Kitāb Muršid al-_Hā.ti’ fī sirr at-tauba wa-'l-i‘tirāf

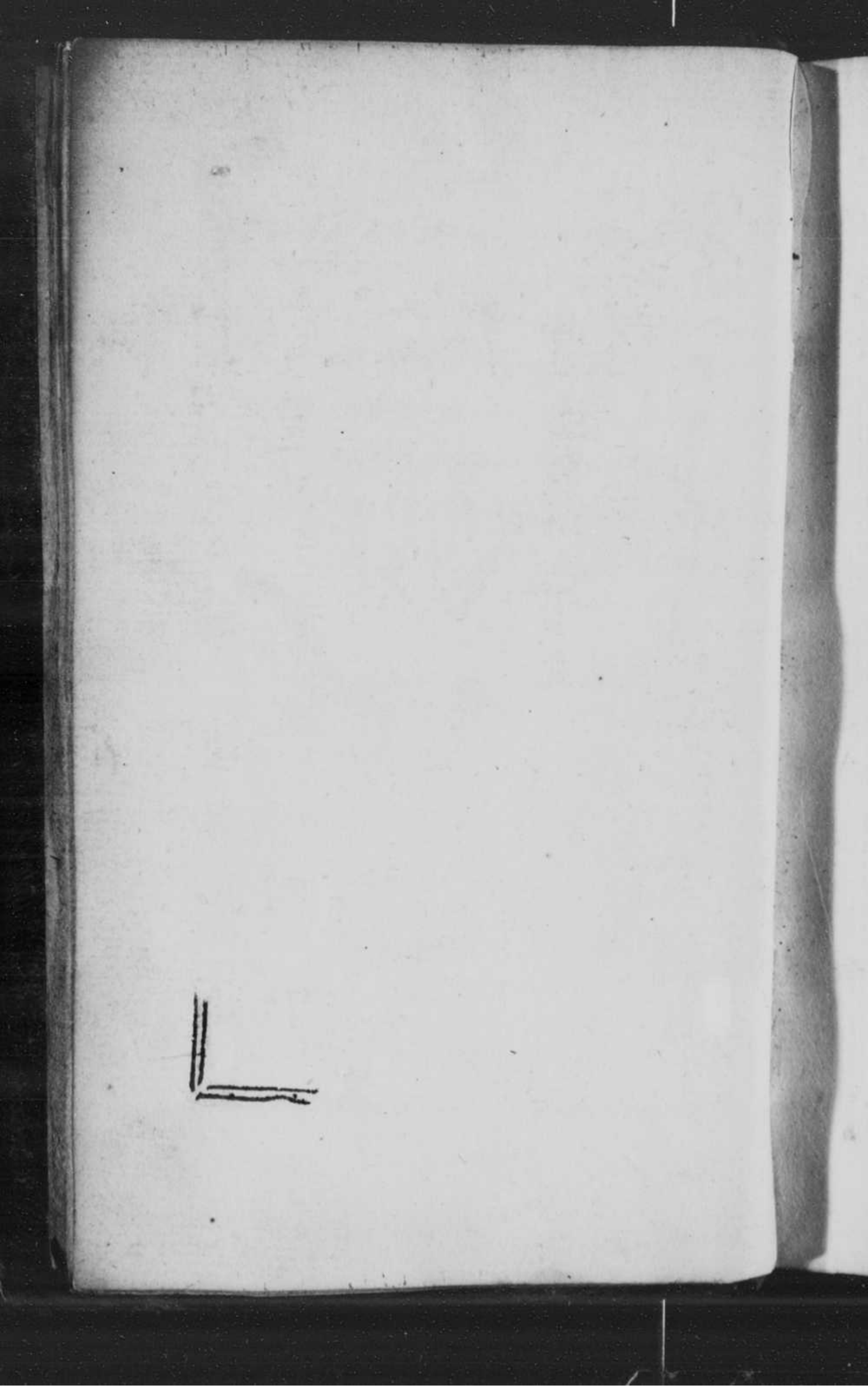
[Bulus Siniri]

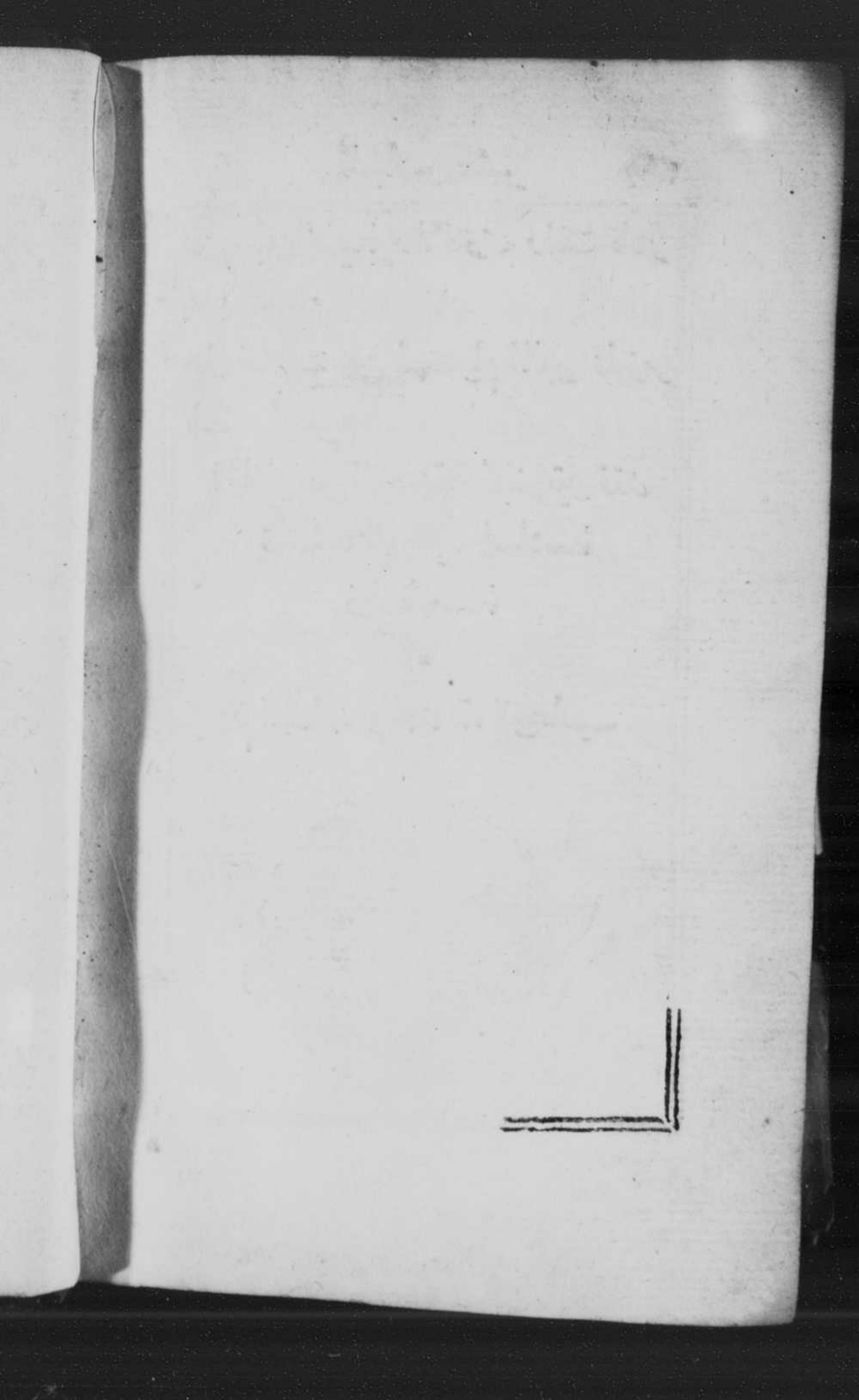
Segneri, Paolo

urn:nbn:de:hbz:5:1-8302

"The Sinner's Guide"
a R. C. devotional work,
written originally in Italian
by the Padre Paul Cineri (?) Soc. Jes.;
translated into Arabic by the Padre
Peter Fromāj (?) A. D. 1739, in
the city of Aleppo: this being the
[illegible] edition of the book, executed
A. D. 1794, by the brethren of
the Convent of S. John the Baptist
in Jebel - Kesrawân, permissu
Superiorum.

بسمه ×٤٣م ٨٣ . ٤٦×م يلم :
٨ يـ . ٤٢ . ×يدود . ٦ . ×وطو ٢ م ٥
٣×٧ و٧ يـ . ٤ د يـ . يـدم . ٣ . ٢ سر ٢ حم . ×دوم ٤ يه ٥ . وغيره
٧ وم يـ ... ٢ . ٨ يـ . ٣ ٢ ج ×م وسعه ٦٦ فع ٣ ×٧ و ٧ . ٣ ×٧ يـ [illegible]
×٤٣م ٨٣ . ٢ دو ٧ ٤ م ٥ . ٣×٧ و٧ يـ . ٣ ×م م ×م . فصل الاول [illegible] ×دم ج ×
و×دم ح ٢ ٥ . وغيره . ٧ وم يـ . ٥ —— ٨ يـ . ٩ . × ٢ م يـ دو [illegible] ٥
×٤٣م ٨٣ . ٨ يـ لونرح . ٣×٧ و٧ يـ . كل يـدوم . قبل . ×٤ لاهو . ——
٨ يـ . ٢ ٣ ×٣م ٨٣ . ٣×٧ و٧ يـ . كل يوم . ٥ ×م م ×م . ٣ ٨ ٢ يـ د .
الارض و٥ ×٢ ×٧ × . و×دسلام . و×دم ج . ٤ . —— ٨ يـ ٤ ٣ م ×ج يـ و .
×٤٣م ٨٣ . ٣×٧ و٧ يـ ٥ . ×٢ ×٧ × . و×دسلام . و×دم ج . ٤ . م ٤ .
٣×٧ و٧ . يـ سرع . ×دم دو . ٤ د يـ . يـدوم . ٥ . ٧ دم يـ ... ٢ ٥
حم م ٢ ... ٨ يـ سره م اوطو ٢ م ٥ .





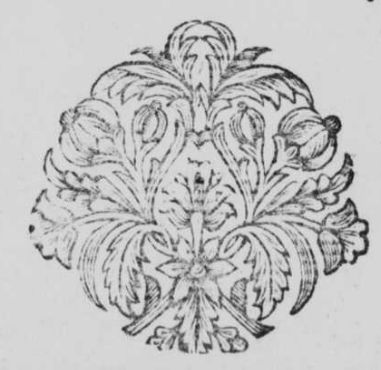
القريب بالنميمة والافترى وانت قادر على ذلك *

هل تغافلت عن اكرام الذين تلتزم باكرامهم *

امّاما يخص الوصيتين الاخرتين فقد تضمنته الوصية السادسة والسابعة

*

تم الكتاب والحمد لله الوهاب



هل تمرمرت على الله تعالي او علي والديك او علي روسايك وغيرهم *
هل استلذذت بتمرمر احد على الغير او اظهرت رضاك في ذلك *
هل افتريت علي احد *
هل صرت سبباً لاحدٍ لان يشهد بالزور *

* بيان الخطايا الفعلية *

هل سببت فتنةً ما او مشاجرةً بين الناس *
هل تهمت احداً كذباً *
هل سببت لاحدٍ ضرراً بنميمتك او منعت عنه مكسباً *

* بيان خطايا الاهمال *

هل اهملت منع الناس عن ان يضروا

هل اهملت دفع الضرر عن قريبك حينما كنت تستطيع ان تدفعه بسهولةٍ *

في الوصية الثامنة

* لاتشهد بالزور *

* بيان الخطايا الفكرية *

هل شككت بالقريب شكًّا باطلًا من غير دليل كافٍ *

* بيان الخطايا القولية *

هل اوردت لاحدٍ شكك الباطل بالقريب *

هل ابنت اسرار الناس *

هل كذبت كذبًا بسيطًا اومضر القريب *

هل غشيت قريبك *

هل اوضحت نقايصه لمن كان يجهلها *

هل تعاملت بدراهم زغل *
هل اصرفت دراهمك بالباطل مثلاً في اللعب والولايم والملاهي اصرافاً غير مناسب لدعوتك او رتبتك او حالك *

* بيان خطايا الاهمال *

هل حفظت ما اشترطت عليهِ مع شريكك في المعاملة واهتممت فيما كنت ملتزماً بهِ اهتماماً واجباً *
هل مسكت علي خدامك واجرايك كراهم او اخرتهُ عليهم *
هل وفيت دينك او تاخرت في وفايهِ *
هل حفظت عندك شياً ضايعاً بدون التفتيش علي صاحبهِ *
هل توانيت في تدبير اموال اليتامي والكنيسة *

عليك *

هل اشتهيت اشتهاءً مفرطًا ان تستغني *

* بيان الخطايا القولية *

هل ربحت شيًا بواسطة الكذب والحلف الباطل *

هل اشرت على احد ان يضر اخر *

هل مدحت من كان اضر باحدٍ *

* بيان الخطايا الفعلية *

هل سببت دعوةً في المحكمة ضد العدل *

هل اشتريت شيًا كنت تعلم انه مسروق *

هل غشيت احدًا في البيع *

هل اعطيت دراهمك بالربا *

فيه كانا مقدسين * واياك ان تحتسب
خطيّة خفيفة ما تكون اذنبت فيه
نظرًا الي هذه الوصية * لان ادني ما
يفرط منك من النقايص في هذه المادة
ليس هو بخطية خفيفة عرضية * اعني
بذلك ان كل اشتياق واستلذاذ اختياري
ولو مهما كان خفيفًا فانه هو خطية
مميتة * من اجل ان ادني رايحة صاعدة
من هذه البالوعة الدنسة هي وبائيّة
مسمومة مميتة *

في الوصية السابعة والعاشرة

* لاتسرق لاتشتهي مقتني غيرك *

* بيان الخطايا الفكرية *

هل قصدت اختياريًا ان تختلس مال
القريب او ان تغشه او ان لاتفي ماله

الذكر والفهم والارادة * افحص ايضاً
باجتهادٍ عن حواسك لاسيما النظر
والسمع وأكثر من ذلك اللمس * افحص
افكارك واقوالك وافعالك بل احلامك
ايضاً * وانظر لعلك استلذيت فيها
عند انتباهك او ارتضيت بها * انظر
هل صرت لاحدٍ سبب السقوط في هذه
الخطية او سعيت في ذلك بشي من شانه
ان يميل بالقلب الى الدنس * لاحظ هل
تزينت بزينةٍ رديةٍ او سرت في الشوارع
او دخلت الكنيسة بقصدٍ ردى *
تذكر اخيرًا ما قلناه قبلاً * وهو انه
نظرًا الى هذه الخطية لابد من ايضاح
عرضين * اعني هل الشخص الذى
اخطات معه او المكان الذى اخطات

في الوصية السادسة والتاسعة

* لاتزن لاتشتهي امراة قريبك *

انني لااطيل الشرح في هذا الصدد لكونه يشبه القير الذى كيفما مسكته ولوكان ذلك بقصد ان تلقيه عنك بعيدًا. فلا بد من ان ياثر في اليد ويدنسها *

ولعمري ان الذى يخالف هاتين الوصيتين فانه يطلع بسهولةٍ على خطاياه * امّا الذى لايخطى ضدهما فانه لايحتاج الى تعليمٍ في ذلك * غير اني اقول شيًا واحدًا * وهو ان هذه الخطية هي كانها رايحة وباييّة تعدي الانسان كله * فان كنت مصابًا بهذا الطاعون فافحص جيدًا كل قوى نفسك * اعني بها قوة

هل صرت شكًا لاحد وحجر عثرٍ *

هل منعت احدًا عن فعل الخير *

هل سعيت معه في فعل الشر *

هل باشرت وظيفةً ما كوظيفة الطب

من دون المعرفة الضرورية لها *

هل ادخلت في درجةٍ كنايسيةٍ انسانًا

غير اهلٍ لها *

* بيان خطايا الاهمال *

هل اهملت التوبيخ لاخوي حينما كنت

ملتزمًا بهِ وقادرًا عليهِ *

هل اهملت نصح القريب ومسكت عنه

المشورة في حين ضرورتهِ *

هل ابيت عن مسامحتهِ والاصطلاح معه *

هل صدتك الكبريا عن طلب العفو

منه *

هل تجاوزت حدود الصواب حينما وبخت القريب * او هل ونبته بحركة الغضب *

* بيان الخطايا الفعلية *

هل القيت نفسك في خطرٍ ما واضح من مخاطر الموت بدون حجة الضرورة *

هل خاطرت بنفسك لكي تفعل شراً *

هل ضربت عافيتك ضرراً معتبراً بافراط الاكل والشرب *

هل انتقمت من احدٍ او ضربته او جرحته *

هل سببت فتنةً ما بين الناس *

هل ربيت ضمن قلبك بغضاً لقريبك وكم مقدار من الزمن استمر ذلك البغض في قلبك *

هل اشتهيت الموت او ضررًا اخر للقريب *

هل فرحت من ضرره وشمتّ به *

هل حسدته *

هل حزنت لسعادة حاله *

* بيان الخطايا القوليّة *

هل تنازقت في شدة من الشدايد *

هل دعيت علي نفسك او على غيرك بالموت او بضرر اخر *

هل اشرت علي احد بان ينتقم او اظهرت رضاك في انتقامه من اخر *

هل افتريت على احد امامه او في غيابه *

هل اطلقت المساكين وزجرتهم بكلام مرّ *

هل اهملت خدمتهم في امراضهم *
وان كنت متزوجا هل اهملت ان
تعطى امراتك واولادك ما كان ضروريا
لهم *
هل توانيت في تعليم اولادك وخدامك
هل اهملت تعليمهم الواجبات
المسيحية *
هل اهملت تاديبهم بعد اطلاعك على
شرهم *
هل تغافلت عن رصدهم والتفتيش عن
كيفية سيرتهم *

في الوصية الخامسة

* لاتقتل *

* بيان الخطايا الفكرية *

هل اشتهيت الانتقام من احد *

عليهم مواجهةً او خفية *

هل انتهرتهم وتوعدتهم *

* بيان الخطايا الفعلية *

هل احزنتهم على نوعٍ معتبر *

هل ضربتهم او رفعت يدك لكي تضربهم *

هل خالفتهم فيما كنت ملتزمًا بهِ *

هل سرقت منهم شيأ *

هل افتريت على الكهنة والروسا الكنايسيين *

هل ادخلت احد اولادك في دعوة الزيجة ضد رضاه *

* بيان خطايا الاهمال *

هل تماهلت في اعانة والديك في ضروراتهم *

او قانوناً مفروضاً عليك في الاعتراف *
هل اهملت استماع كلام الله تعالي وتلاوة الكتب الروحيّة وحضور الصلوات الكنايسية من قبل الكسل *

في الوصية الرابعة

* اكرم اباك وامك *

* بيان الخطايا الفكرية *

هل ربيت في قلبك بغضاً ما لوالديك او لروسايك *
هل طلبت لهم الموت *
هل ظننت لهم ظنوناً باطلة *
هل احتقرتهم في فكرك *

* بيان الخطايا القولية *

هل تمرمرت عليهم في غيابهم *
هل دعيت عليهم او لعنتهم او افتريت

هل تعديت صوماً او انقطاعاً
مفروضاً من الكنيسة بدون سببٍ
داعٍ لذلك *
هل اصرفت ايام الاحاد والاعياد
بالملاهي *
هل سكرت او اكلت بافراطٍ
وشراهة *
هل باشرت وظيفةً اكليريكية وانت
مربوط عنها * وهل حفظت الحرمان
كان حرمك رييس كهنة *
* بيان خطايا الاهمال *
هل سمحت لاحدٍ من الذين تحت
سلطانك وتدبيرك ان يشتغل في الايام
المذكورة *
هل اهملت صلواتك الفرضية والاعتيادية

في الوصية الثالثة

* احفظ ايام الاحاد والاعياد *

* بيان الخطايا الفكرية *

هل قصدت الّا تحضر القداس او ان تشتغل في يوم احد او عيد *

* بيان الخطايا القولية *

هل تكلمت في الكنيسة لاسيما في حين القداس او تلاوة الصلوات الكنايسية

* بيان الخطايا الفعلية *

هل اشتغلت في يوم احد او عيد او شغلت احدًا بدون ضرورةٍ وكم مقدار من الزمن اشتغلت او شغلت *

هل احتقرت انسانًا اكليريكيًا *

هل حضرت في الكنيسة بدون الاحترام الواجب *

هل استعملت كلاماً من الكتب المقدسة بالهزء والمزاح *

هل حلفت صدقاً من غير ضرورة *

هل اثبت بالحلف مالم يكن عندك موكداً *

هل حلفت ان تنتقم من احدٍ او ان تصنع شراً اخر *

هل عاهدت احداً بشي وثبت عهدك بالحلف من دون قصد ان تتم ذلك *

* بيان الخطايا الفعلية *

هل حركت احداً الي الحلف بالزور *

هل اعطيت سبباً لاحد لان يجدف *

* بيان خطايا الاهمال *

هل اهملت تكميل نذورك او توانيت في تتميمها *

تحصل علي وظيفة اكليريكية *

* بيان خطايا الاهمال *

هل توانيت في ان تتعلم اسرار الايمان والتعليم المسيحي *

هل اهملت الالتجا الي الله سبحانه في حال التجربة الشديدة *

هل ما شكرت الله تعالي على حسناته *

هل اهملت فعلاً صالحاً حياءً من الناس.

في الوصية الثانية

* لا تحلف باسم الله بالباطل *

* بيان الخطايا الفكرية والقولية *

هل نويت ان تحلف باطلاً *

هل جدفت على الله تعالي او على القديسين او على شي مقدس *

هل نطقت باسم الله بعدم الاحترام *

هل استعملت وسايط رغبةً في ان تعلم الاشيا الخفية او المستقبلة *
هل استعملت ادويةً لاقوة لها ولا خاصية طبيعية لشفا الامراض *
هل قرات كتباً لاتجوز تلاوتها او حفظتها عندك بدون اذن من لهُ السلطان علي ذلك *
هل اظهرت اشميزازاً من الافعال الصالحة *
هل تكرهت من استماع كلام الله تعالي *
هل توانيت في تلاوة الصلوة باكراً ومساءً وفيما يخص خدمة الله الواجبة عليك *
هل وهبت دراهم او هدايا اخر لكى

* بيان الخطايا القولية *

هل تمرمرت علي العناية الالهية في حال الشك *

هل علمت احداً شياً من الامور السحرية او الاحتفاظات الباطلة *

هل امتدحت نفسك على خطيةٍ فعلتها *

هل هزات بالقريب لاجل ممارسته افعال الفضيلة. او لمته لانه لم ينتقم ممن كان ضره او افترى عليه *

هل منعت احداً عن ممارسة الافعال الصالحة بمشورةٍ ردية *

* بيان الخطايا الفعلية *

هل استعملت شياً من امور السحر او الرقايين *

* ايضاح مفيد في فحص الضمير *

في الوصية الالهية الاولي وهي

* انا هو الرب الهك *

بيان الخطايا الفكرية

هل خطرت في بالك افكار مضادة الايمان وتوانيت اختياريًا في طردها *

هل بحثت عن الاسرار الالهيّة بحثًا منحرفًا *

هل ايست من رحمة الله تعالي او طمعت بها *

هل قصدت الاستمرار على فعل الخطية موخرًا توبتك الي انتها حياتك *

هل اعتقدت المنامات واعتمدت عليها *

اعترف ابداً *
ثم اني انصحك ان تحذر بعد ان تعترف
اعترافاً عاماً بحسب هذا التعليم المورد
هنا . من ان تعود تعترف بعد ذلك
اعترافاً عاماً من دون حجة باهظة *
لان تجديد هذا الاعتراف من شانه
ان يضر النفس * لاسيما انفس الانام
الموسوسين * واكثر من ذلك الانام
الذين تورطوا في خطايا نجسة
كثيرة ويشعرون بعد
بالميل اليها والاستلذاذ
فيها
*

سقطوا فيها في زمن حداثتهم * مع انهم
كانوا يفعلونها مختفين عن نظر الناس
حذرًا من ان يوبخهم احد عليها و يعيرهم
اذا اطلع عليهم *
ثالثًا يلتزم بالاعتراف العام من قد اعترف
بدون ندامة حقيقية * كما يحدث غالبًا
للذين يعترفون عند كاهن قد سقطوا
معه في الخطية *
رابعًا من لا يكون في اعترافاته السالفة
قصد قصدًا حقيقيًا انه لا يعود الى
الخطية * وان يفر عن اسبابها * وان
يصلح صيت القريب الذى فضحه . ويرد
ما اختلسه . ويسامح عدوه * ففى كل
هذه الاتفاقات ينبغي للمومن ان يعترف
اعترافًا عامًا كما يلتزم به من لا يكون

* الفصل السادس عشر *

* في الاعتراف العام *

اعلم انه قد يلتزم المسيحي بالاعتراف العام اذا كانت اعترافاته السالفة ناقصة باطلة * وهذا الامر انما يكون صادرًا عن سببين * اى امّا من جهل معلم الاعتراف وهذا يحدث نادرًا * وامّا من قبل التلميذ وهذا يتفق مرات كثيرة *

وذلك اولًا اذا كان الشخص لا يفرغ جهده كالواجب في فحص ضميره *

ثانيًا اذا كان الحيا صدّه عن الاقرار بخطية مميتة او بخطية كان يشك في كونها مميتة ام غير مميتة * كما يتفق للذين لا يعترفون عن بعض خطايا دنسة

ترقد وتنام مطمانًا علي حافة الهاوية *
فاصغ لما يخاطبك به الروح القدس هاتفًا
ارحم نفسك وارض الرب (ابن سيراخ ٣٠)
ان القديس توما اللاهوتي كان يتعجب
من مسيحي يجسر علي ان يخطى * فكم
بالحرى يجب علينا اذًا ان نتعجب من
المسيحى الذى بعد ارتكابه الخطية لايبالي
من استقرارها في نفسه * مع انه يقدر
على ان يستاصلها بسهولة بواسطة
سر الاعتراف * ومع ذلك يختار كما قيل في
السفر الالهى ان يستمر كبهيمة
في زبل الفساد
(يوال ١)



فما ظنك في هذه الخاطر * وما هو رايك في من يستخف بها * فاعتبر اذاً ان الامر باهظ وعظيم جداً * وانك تستطيع ان تجعله في امانٍ وذلك بسهولة * فما بالك اذاً تتغاضى عن هذا * انه ليمكنك ان توثق مرساة رجايك بالجمل اى بحبل السفينة العسر انقطاعه * وها انى اراك تربطه بخيطٍ رفيع * لكونك تاسس اتكالك ورجا خلاصك علي شي مشاب بالشك * اعني علي شي يُظن بهِ بالصواب انه ربما لا يصير * اما علمت وتحققت ان الله تعالي عدولك * فكيف اذاً تسلم نفسك للتنزه واللهو . وتزيد خطايا على خطاياك * ما هذه الغباوة . بل ما هذا السحر الشيطاني * كيف يمكنك ان

البر غالباً له ان يرجو الموت في البر * امّا النوتي الذى لايزال اكثر ايامه مسافراً في بحر مملو صخوراً حيث توجد غالباً الرياح العاصفة. فيكون بلا شك جاهلاً اذا ترجى ان يموت علي البر * هكذا حال الخطاة الحاصلين غالباً على حال الخطية المميتة * الذين لايعترفون الاّ مرة واحدة في السنة اعترافاً كيفما اتفق * اى انهم يشبهون النوتية الذين يستوطنون البحر وفي البحر يموتون * ولكون هذا البحر غالباً يكون هايجاً * فلذلك يخشي عليهم جداً من ان يموتوا غرقي حسب الكلام المقول في سفر ايوب البار * تموت نفوسهم في العاصفة (ايوب ٣٦) *

ذلك جيدًا. ترثي لسوحظ اوليك الاشقيا الذين يرتضون بفقدها * ويعدمون اختياريًا استحقاق جميع الغفرانات والقداديس والصدقات والصلوات وافعال اخر صالحة متعددة من تلك التي تُمارس في الكنيسة * التي كما تقدم عنها الكلام لاتعود تفيدهم الّا نظرًا الي الزمنيات * او استعدادًا بعيدًا للتوبة * ولا تسد لهم نفعًا ما لاكتساب النعمة والمجازاة الابدية *

سادسًا واخيرًا ان الذى يعترف بتكاثر له ان يرجو موتةً صالحة * وبالتالي له ان يرجو الخلاص الابدى * امّا الذى يعترف نادرًا فليس كذلك * لانه كما ان الذى يسافر في البحر نادرًا ويستوطن

تعالى مرات كثيرة عمّا قد كان قاصدًا
ان يعذبه به لو يتغاضى عن تلك الافعال
الصالحة * الّا انما اعني بها تلك الافعال
الصالحة الممارسة في هذه الحال . لاتفيد
البتة لاكتساب اجرٍ ما ابدى * قالت
ايمة الاطبا انه مادام السهم في الجرح
باطلًا توضع عليه الدرورات والمراهم *
لانه قبل كل شي ينبغي ان ينزع السهم
خارجًا من الجرح * هكذا ما دامت
الخطية في النفس التي هي كسهم مسموم
في الجرح . فلا تنتفع تلك النفس من شيٍ
لحيوة الابد * بل يجب قبل كل شي ان ينزع
السهم خارجًا بواسطة سر الاعتراف *
تذكر ما قلناه قبلًا عن كنوز النعمة
الالهية * فلا شك في انك ان اعتبرت

في غمك مدةً مستطيلة من الزمن *
فمثل هذا اذا اضطر بغتةً الي المحاربة.
فبلا شك لايستطيع ان يستاه سريعًا.
من كونه معترى بالصدا *
خامسًا وزد علي هذا كله شيأ اخر *
وهو ان الذى يعترف بتكاثر وان
سقط حينًا ما في خطية مميتة * الّا انه
غالب الزمن يكون في حال النعمة *
و بالنتيجة تكثر افعاله الصالحة المستحقة
حيوة الابد * وبخلاف ذلك من قد سقط
في خطية مميتة ولا يعترف عنها عاجلًا *
فانه يعود كقرمةٍ جافة لاتستطيع ان
تنمو * نعم انه لايجوز له مع هذا ان
يهمل رياضات العبادة وممارسة الافعال
الحميدة * اذ انه من اجلها يكف الله

المميت الآ يذهب باطلاً) * افليس كان خيراً لمثل هذا الشخص ان يتناول اسرار الكنيسة اكثر قليلاً مما تناولها في مدة حياته * لعمرى انه سيطلع حينيذٍ على جهلهِ ويقول باطناً هكذا * حقاً ان الذى كان يطلب مني لاجل خلاص نفسي قد كان يسيراً سهلاً * وانا مع ذلك فقد استصعبته واهملته كسلاً وتوانياً * انني لو كنت فعلت في ذلك الوقت ما كان سهلاً لدىّ. لما كان اصابني هذا الاضطراب والحزن الذى يمزق الان قلبي * هذا ما يقوله ذلك الشقى * وان وجد وقتيذٍ كاهن يقبل اعترافه فلايدرى من اين يبتديه * لان حالة ستكون حال جندى قد ترك سيفه

له الشيطان سببًا لان يقلقهُ ويسجسهُ
من هذا القبيل * وبعكس ذلك من
لا يعترف في مدار السنة كلها سوى مرةٍ
واحدة او مرتين * فلهُ ان يخشي من ان
يتناسي بتهاونٍ خطايا كثيرة باهظة *
وذلك من اجل ان الحساب المتاخر كثيرًا
كما قال القديس برنردوس لمستصعب
جدًا * ومن شانهِ ان يصير الانسان ان
ينسي اشيا كثيرة * فكيف تراه اذًا
يتضيق ذلك الخاطي الغبي ويخجل في
ساعة موتهِ . حينما ينبهه العدو ويضع
بازاء عينيه جملة خطايا متعددة تلقي
نفسه في حزن النزاع العظيم * فلا جرم
انه يندم ويتنهد علي جهلهِ بانحصار قلب
مميت (فليصير الله تعالي تحسر ندامته هذا

تغتر هاربة من الاماكن التي فيها يتمزق
نسجها مرات كثيرة * هكذا يهرب
الشيطان ولا يستقر في النفس التي
بالاعتراف المتكاثر تمزق على الدوام كل ما
يوجد من نسج مقاصده المسمومة * وقد
اضطر هو خزاه الله بان يقر جهاراً بهذه
الحقيقة قايلاً * انه ليس شي يغيظنا
نحن معشر الشياطين اكثر غيظاً *
ويعطل علينا حيلنا . كمثل الاعتراف
بتكاثر *
رابعاً ان الذى يعترف بتكاثر يعود
لديه فحص الضمير سهلاً هيناً * وله
سبب لان يعتقد بتوكيد ما ادبى انه في
اعترافاته غالباً لا يهمل التدقيق الواجب
ومن ثمه حينما تدنو ساعة موته فلا يجد

بفعل واحد او فعلين * ولكون الندامة التي نشعر بها في حين الاعتراف هي غالبًا ضعيفة وناقصة * فمن ثم لا نستطيع ان نستاصل حالًا ما نجده متاصلًا فينا ومتعمقًا * فمن كان اذًا حاصلًا على ملكة رديةٍ وعادةٍ سيةٍ من سنين عديدة * مثلًا كالاعتياد على خطية الدنس * فان الدوا الافضل والانفع لشفا دايهِ هذا العضال . هو المواظبة مدّةً ما من الزمن على الاعتراف في كل سبة او اكثر من ذلك * وهذا فقد تحقق لدينا بالتجربة *

ثالثًا اننا بواسطة الاعتراف المتكاثر نقوى على الشيطان ونفل سهامه ونضعف تجاريبه * لانه كما ان العناكب

خطاياك المغفورة لك في سر الاعتراف .
ان تحترق في النيران المطهرية *
لامدة يسيرة من الزمن . بل اياماً وسنين
متعددة وربما دهوراً كثيرة * فاذا
اراد احد نجاتك من هذا العذاب الاليم .
واوعز اليك بان تعترف بتكاثر . فهل
يكون بهذا الامر طلب منك شياً
باهظاً غريباً *
ثانياً انه ما علا ما تقدم ذكره . فان
الاعتراف بتكاثر يصير ايضاً ملكاتنا
الردية الآ تتاصل في نفوسنا وتتمكن
فيها * وان كانت تاصلت وتمكنت .
فتستاصل وتقلع رويداً رويداً بتكاثر
الاعتراف * وانما قلت رويداً رويداً .
لعلمي بان الانسان غالباً لايبيد الملكة

يفعل

تكتفي بان تستحم من واحدة * بل
اقتداءً بالنصيحة الالهية يجب ان تستحم
سبع مرات * اى ان تعترف لانادرًا بل
مرات متعددة *
لانك اولاً تكتسب قلما يكون هذا الخير
وهو انك تنقص كمية العذابات المعدّة
لك في المطهر * لكون المومن يلتزم بان
يفي هناك ما لا يكون وفي عنه هنا
بالندامة * فاخبرني ياصاح لو حُتم عليك
بان تُحرق في شوارع المدينة ٠ اما
كنت تبذل كل جهدك في ان تنجو
من هذا العقاب وتدفع لاجل ذلك كل
مالك * بل اما كنت ترتضي بان تصرف
بقية حياتك في الاسر والشقا * والحال
ان العدل الالهي قد حتم عليك لاجل

الامان والاطمينان * وانه لايوجد جهل
سوي ذاك الذى يجعلنا ان نتهاون
* في اتقان هذا الامر *

* الفصل الخامس عشر *

في الفوايد الناجمة من تناول
* سر التوبة بتكاثر *

لقد ذكر في سفر الملوك الثاني انه اذ
اتى نعمان السرياني الى اليشع النبي
وطلب منه شفا برصه * امره النبي بان
يمضي يستحم في نهر الاردن لا مرة واحدة
بل سبع مراتٍ * فهذا هو الذى يجب
عليك ايها المومن الراغب تطهير نفسك
بواسطة الاستحمام في مياه الاردن
الرمزى اعني به سر الاعتراف * وهو الآ

وتندم بين يديه علي خطاياك ۔ وتقصد
قصداً اكيداً ان تعترف عاجلاً * وتتامل
متانياً جميع هذه الحقايق وترددها
كثيراً في عقلك وتطبعها على قلبك *
وتفهم جيداً ماهية الخطية نظراً الي ذاتها
واعراضها ومفعولاتها وعذاباتها * وهذا
الذى تطلبه منك نفسك * يجب ان
تعترع جيداً قبل ارتكاب الخطية وبعد
ارتكابها * بل بعد الاعتراف عنها ايضاً *
من اجل انه لا يتحقق لدينا اننا نلنا
مغفرتها * ثم ان نفسك تلتمس ايضاً
منك باجتهادٍ بليغ ان تعقل جيداً هذا
المبدا الخلاصي وتتدرب بحسبه * وهو
انه لا يوجد حكمة ولا فطنة سوى تلك
التي بها نجعل سعادتنا الابدية في حال

لم يرتضِ بان يقتبل هذا الابن الحبيب
ويحتمل وجعاً ما خفيفاً وفاءً عن الخطية
فقط * بل رام ان يكابد اعظم الاهانات
والاحزان والعذابات * فما ظنك اذاً
الان بالخطية * ما هو رايك في هذا الشر
الذى من اجلهِ ولاجل ابادته التزم ابن
الله تعالي بان يبذل حياته ليغرقه في
بحر دمهِ الزكيّ *
ناشدتك الله يا من يستمع هذا الخطاب
او يتلوا هذا الكتاب * ان كنت تعلم
ان ضميرك معتري بدنس الخطية
المميتة * فاصغ لا الي صوتي بل الي صوت
نفسك التي تتضرع اليك ملتمسةً منك
بحق محبتك لخلاصها . الّا تطوى هذا
الكتاب قبل ان تجثو امام الله تعالي .

غيران الشي الذى اراه انا اكثر
تاثيرًا وفاعليةً لبغض الخطية * هو الذى
احب ابن الله عز وجل ان يحتملهُ من
الالام لكي يبيدها ويلاشيها * وفي هذا
الصدد قال القديس برنردوس حينما
كان يتامل الام سيدنا يسوع المسيح
ان هذا الدوا يريني عظمة جراحاتي *
من اجل انه لو يكابد يسوع جرحًا
واحدًا خفيفًا في جزءٍ واحدٍ من جسده
فقط. لاظهر لي بهذا وحده عظمة عدل
الله في تعذيبه الخطية . اكثر جدًّا مما
كان يظهرها لي لو يلاشي العالم كله
قصاصًا عنها . ويزج في عمق الجحيم
جميع المليكة واشرف واعظم ما في
السما وعلي الارض * غيران العدل الالهي

فهو هذا * اى انه مع كون الله تعالي
يقاصّ الخطيّة بكل هذه العذابات
المؤبدة * فانه مع ذلك لا يعذبها كحسب
استحقاقها * بل يعاملها برحمةٍ *
واحتراقها الابدى في هذه النار الاكلة
هو عذاب خفيف حقًا اذا قوبل مع ما
يستحقه الانسان بالخطيّة * حتي انه
يستطيع كل هالك ان يقول بالحق وخلوًا
من مبالغةٍ ما قاله ايوب البار * انني
اخطات وحقًا انني اثمت ولم اقتبل ما
استحققته من العذاب (ايوب ٣٣) *
فياليت هذا الامر يتاملهُ ويعقلهُ اوليك
الجهال الذين يستخفون بالخطيّة
ويرتكبونها بسهولةٍ . ويشربون سمها
كشربهم الما (ايوب ١٥) *

غير

يلقوا في جهنم * حيث يحترقون الان وسيحترقون الى الابد في نار تنفذ انفسهم واجسادهم * حتي اعضاهم واحشاهم وقلوبهم ولب عظامهم * فيستمرون علي الدوام كالحديد المحمى في اتون لا يطفى لهيبه * في اتون لا يبصر به الهالكون ابدًا انتها عذاباتهم * لانهم هم الشعب الشقي الذى قال عنه ملاخيا النبي ان الله تعالي سيغضب عليه الى الابد (ملاخيا ١) * والحال انهم انما حصلوا على هذه العذابات الغير المدركة شدتها والغير المنتهى دوامها لاجل مجرد هذا الامر فقط * وهو عظم شر الخطية المميتة *

امّا الامر الذى يدهش العقول ويذهلها

فهو

الاثم (ارميا.١) * من ذا الايخاف من الخطية الناتجة منها هذه العقوبات *
ثم لاحظ الان انتقام الله الثاني من الخطية * اى من خطية ادم الذى قد كان خلقه عز وجل في حال البر * واحب ان يكون غيرقابل الموت * واعطاه سلطانًا على ساير الخلايق * فهذا الانسان الذى قد عظم جلال سعادة حاله * قد خسر نظرًا الى ذاته ونظرًا الي ذريته كلها هذه السعادة العظمى * وذلك لاجل خطية واحدة * وبها ادخل الى العالم الموت والفقر والامراض والحروب والطاعون والاوجاع * وصار سببًا لاناس لايحصى عددهم قد اقتدوا بخطيته لابتوبته لان

في جهنم عدداً غير محصى من اراكنة السما الذين قد كانوا ارواحاً بالطبع * غير قابلين الموت * ذوى انوار وحكمةٍ فايقة على كل حكمةٍ بشرية * متصفين بقدرة تفوق علي قدرة الخلايق السفلية كافةً * مليكة لاتستحق جميع ملوك الارض المعظمين ان يكونوا خداماً لهم * ومع هذا كلهِ ولاجل خطيةٍ واحدة فكرية . حتم الله تعالي عليهم حالاً بالخلود في نار موبدة * غير مبالٍ من شرف درجتهم * ولا مما كان عتيداً ان يحصل لعزته من المجد والسبح لو اراد ان يتوبوا * ولا من كثرة الشرور العتيدة ان تلمّ بالكنيسة فيما بعد من قبلهم * من ذا لايخشاك ياملك

امّا العذاب فليس هو شيئاً اخر سوى
ظل ذاك الشر * فكما ان علو البرج يُعرف
بالسهولة من طول ظله لاسيما في انتصاف
النهار * هكذا يمكننا ان ندرك عظمة
شر الخطية من قِبَل العذابات المرسومة
لاجلها من العدل الالهي * مع انه تعالي
لايعذب الخاطي كما يستحق بل اقل من
ذلك كثيراً جداً * ولكي نحصر هذا الموضوع
الجزيل اتساعه * فلنعتبرنّ العذابات
التي قاص الله تعالي بها الملك والانسان *
ثم لنلاحظنّ ما احب السيد المسيح ان
يكابد من العذابات لكي يفي عنا للعدل
الالهي *

فمن ذا الذي يستطيع ان يفهم عظم
بغض الله الخطيّة التي من جراها التي

فحال الخاطي اذًا هي كحال رجل اثيم قد القي في سجن يستمر فيهِ الي ان ياتي زمن تتميم القضا المسجل عليهِ *

المفعول السابع هو ان الخطية المميتة لاتصيّر الانسان اهلاً لجهنم فقط * بل انها ترجه ايضًا في هذه الهاوية المرهبة ان كان لايمحوها بالتوبة *

* القول في عذابات الخطية *

امعن الان النظر في عذابات الخطية واعتبر افراط شدتها * ثم انتج منها تفاقم عظمة شر الخطية * فاعلم ان الخطية ذات شرين * احدهما الاسية * والثاني العذاب * والفرق بينهما هو كالفرق الحاصل ما بين الجسد وظلهِ * لكون الاسية اى الخطية هي الشر الحقيقي *

اما

هو الشمس التي تضي للابرار والاشرار *
الّا انه سبحانه لايفيض علي الجميع ولا
علي حدٍ سوى افضل تاثيرات نعمته *
ومن ثم يعسر الخلاص علي الخاطي اكثر
جدًا مما يعسر علي البار * لانه فيه اى في
الخاطي يضعف جزء النفس الاعلى .
ويتقوى الجزء الادني * فلذلك ينغلب
للتجربة كل يوم باكثر سهولةٍ *
ويتدهور من خطية الي خطية *
المفعول السادس هو استحقاق العذاب
الجهنمي الابدى * على ان من يرتكب
خطيةً مميتة ففي حال ارتكابه اياها يمحى
اسمهُ من سفر الحيوة * ويكون كانه قد
تسجل عليه من الله القضا بالموت المويد *
ويعين لهُ مسكنًا في النيران الجهنمية *

اعتنا الله في ابراره * على انه من الممتنع
ان تهتم الام في احتياجات ابنها باجتهادٍ
ورغبةٍ تشبه اهتمام الله تعالي في نفس
برية من الخطية المميتة * لانه هكذا
يخبرنا تعالي عن نفسهِ علي لسان اشعيا
نبيهِ القايل . كما ان الام تلاطف ابنها
وتتملقه * هكذا سبحانه يعزى الانسان
التقى (اشعيا ٦٦) * فيساعده ويعضده
ويرشده ويحمله علي ذراعيهِ * بل يضمه
الي صدره وينير عقله ويضرم ارادته *
ولايزال يشجعه بالهاماتهِ محثا اياه علي
الاهتمام في خلاص نفسهِ * ولاريب في
ان الذى يرتكب الخطية يخسر هذا كله *
نعم انه جلت رحمته يقدم لكلٍ منا
نعمًا كافية للخلاص * من اجل انه

جميع الرسل * وسفك من دمه لاجل
ايمان المسيح اكثر مما سفك جميع
الشهدا * ثم سقط بعد ذلك في خطية
مميتة واحدة. لكانت تلك الخطية الواحدة
تبيد جميع استحقاقاته وتلاشيها بالكلية *
واذا ما توفي بعد صدورها منه. فلا يحصل
له نفع ما من جميع تلك الافعال الصالحة
اصلاً * ولا يذكر له الله شيئاً ما منها
الى الابد * وذلك حسب قوله العزيز. ان
ارتد البار عن بره وعمل الاثم فلا تذكر
جميع عدالاته (حزقيال ١٨) *
المفعول الخامس هو ان الخطية تعدم
الانسان اعتنا الله الخاص * ولكي تفهم
عظمة الضرر الناتج من هذا المفعول *
تذكر ما قد قاله الكتاب المقدس عن

عينيك * فتعلم حينيذٍ تفاقم جهل الخاطى الذى يرضى بفقد وراثة الهية *
المفعول الرابع هو فقد الانسان كل ما ربحه من الاستحقاق في مدة حياته الماضية كلها * انه لو يوجد انسان قد مارس افعال السيرة القشفة مدة مائة سنة كمثل القديس رومالدوس * وحمل علي عنقه سلسلة حديدية جزيلة الثقل مدة عشرين سنة كالقديس اوسابيوس * او استمر منفردًا عن العالم مختفيًا في قبرٍ مدة اربع عشرة سنة مماثلًا القديس يعقوب المكني بالتايب * او استقام علي عمود مدة اربعين سنة كما فعل القديس سمعان العمودى * او خلص من النفوس عددًا يفوق على عدد الذين خاصتهم

جميع

ان الذى كان في حال نعمة ابن الله .
يصير بالخطية ابن الشيطان * وقد اشار
تعالي الي ذلك بقوله للكتبة والفريسيين
انتم من ابيكم ابليس (يوحنا ٨) * لكون
الخاطى يشبه الشيطان بحال نفسه * كما
ان الابن يشبه اباه في طبيعته *
المفعول الثالث هو سقوط الانسان من
حق الوراثة الابوية * علي ان من يسقط
من حق البنوة . فلا يبقى له حق علي
الوراثة الابوية * فليت شعرى كم يشتهى
الانسان ان يكون وارثا ملكا
معظما * ومن يكون له حق علي مثل
هذه الوراثة فهل يبدله باكلة عدس
كما فعل عيسو الغبي * فان قابلت الارض
مع السما * وملكوت الله مع مملكة احد

مملوما يكره الناظر اليه بشناعته ونتانته (متي ٢٣) *
المفعول الثاني هو فقد النفس شرف البنوة الالهية * فاعتبر ان الروح القدس حال في النفس البارة حلولاً عجيباً جدًا * على انه لو يكون ممكنا الّا يكون تعالي في كل مكان من حيث كونه الغير الممسوح * لكان عز وجل موجودًا في نفس الانسان البار بحضور خاص * ثم ان الروح القدس المتحد بالابرار برباط النعمة . يرقيهم الي درجة بني الله بالذخيرة * ويشركهم علي نوع ما في روحه * ويجعل ثمن افعالهم ثمنا يوازى كل ثمن السما * فهذا هو الذى يعدمه الانسان بالخطية * وبالنتيجة

ضياءً ولمعاناً من الكواكب الي قرمةٍ
جهنمية *
فتامل لي اذاً الان حال النفس التي فعلت
لا خطيةً واحدة بل الوف الوف وربوات
ربوات من الخطايا المميتة * وانتج من
ذلك ما اكثر ما تكون عينا الله الغير
المتناهية نقاوتها تستكره النظر اليها *
فاعلم واعتقد ما لا يشوبه ريب اصلاً *
وهو انه لا الحية ولا التنين ولا حيوان
اخر من جميع الحيوانات السمية ينفر
منها الانسان مستكرها * بمقدار ما
تشماز نفس الله تعالي من انسان خاطي
وتستقبحه * فحسناً اذاً وبالصواب
قد شبهه السيد المسيح بقبر مكلس *
يظهر من خارج مزيناً * ومن داخل

انه لو شاهدناها دقيقة واحدة من
الزمن. لمتنا حالاً خوفاً وفرقاً من
منظرها المستشنع * ولاثبات ذلك
قد اخبرتنا القديسة كاترينا السيانية
بعد معاينتها صورة الشيطان * انها
لفرط ما استقبحت شناعة هيئته *
كانت تختار ان تسير حافية علي جمر
ملتهب الي يوم الديونة الاخيرة. ولا ان
تبصر مرة اخرى تلك الصورة المريعة
شناعتها * مع ان هذه القديسة لم
تشاهد من شناعة الشيطان الاّ شيأ
قليلاً جداً كما اخبرها عن ذلك رب المجد *
والحال ان هذه الشناعة الغير المدرك
قبحها انما هي مفعول صادر من خطية
واحدة . قد احالت من كان اوفر

فما هو الذى يمكن ان يجرى من هذه البالوعة المفعمة نجاسات ورجاسات سوى ما يشبه ينبوعه * غير ان اخص مفعولاتها هى سبعة * وقد يرمز عنها بسبعة روس ذاك التنين المذكور في سفر الرويا * وها نحن نشرع الان بايرادها فنقول *

ان المفعول الاول هو سلب النعمة الالهية التي ثمنها يوازى ثمن دم سيدنا يسوع المسيح كله * فهذا الكنز الغير المدرك ثمنه هو الذى يستخف به الخاطى بغباوة طفل جاهل يبدل لولوا ثمينا بتفاحة واحدة * لكون النفس بفقدها النعمة الالهية تحصل على حال شناعة مستكرهة الى حد هذا مقداره . حتي

وجمالهُ واصدقاه وغناه كاسلحة يحاربني
بها * مع انه لو يفعل احد العبيد مع
ملكهِ شيًا يسيرًا من كل هذه الانواع
من الافترا لاحتسبته الناس عار العالم *
والحال ان هذا الامر يفعلهُ الخاطي كل
يوم وفي كل ساعةٍ ضد الله تعالي *
هذا الامر الذى اذًا تامله الملك والنبي
داود قال متاسفًا. رايتُ الذين يخالفون
ناموسك فذبت (مزمور ١١٨) * فعليك
اذًا ايها المسيحى ان تتامل هذه الحقايق
التي من شانها ان تردك عن الخطية *
وتصير قلبك ان ينحصر متضيقًا عند
مشاهدتك فاعلي الاثم *

القول في مفعولات الخطية المميتة

اعتبر ثالثًا مفعولات الخطية المميتة *

ان يفعل ذلك امام خالقه * هذا هو
فحوى قوله تعالى على لسان اشعيا نبيه.
هذا هو الشعب الذى يغيظني امام وجهى
دايمًا وفي كل وقت (اشعيا ٦٥) * لا في
زمن الشك فقط * بل حينما افتكر انا فيه
افكار الرحمة والسلام * حينما اتفضل
عليه بالحسنات * حينما اصون حياته
واعوله واكسوه وانقذه من مخاطر
متعددة * حينما اكون انا منتصبًا
تجاه عينيه ومستقرًا في وسط قلبه *
ففي هذا الحين نفسه يقصد المنكود
حظه ويعزم بوقاحة وخيانة غير محتملة
على مخالفتي * ويستخدم لمحاربتي ما قد
اتخذه من كرمي * لانه يستعمل حواسه
الباطنة والخارجة حتى عافيته ايضًا

عينيهِ * وكانه يخاطبه عز وجل بلسان
الحال هكذا * انني عارف انك حاضر
حقاً ههنا * وناظر اياى ومطلع على
افكارى ومقاصد قلبي وسامع اقوالي *
ومع ذلك اى مع معرفتي هذه وعلمى بان
عينيك الطاهرتين لاتوثر الاثم . فانى افعل
ما يهواه قلبي وترغبه شهوتي * ولست
ابالي من حضورك ولا من مشاهدتك
شرى * فيكفيني ان اكون مختفياً
عن اعين الناس * اواه ثم اواه هكذا
يهين الدود الحقير جلال العزة الضابطة
الكل * من تراه من الانام تجاسر علي ان
يفعل الاثم امام حاكمه * او من من
الرعية تمرد علي ملكه تجاه عينيهِ *
فها هوذا نرى الانسان الشقي يجسر علي

ان

متمردًا علي ناموسه ومزدريًا بحسناته *
وينزع بمقدار ما يمكنه تاج عزته الالهية
من على هامته سبحانه من غير ان
تضطره الي ذلك ضرورة ما . لكن لاجل
مجرد هذا السبب فقط وهو لانه هكذا يشا
كقوله تعالي بغضوني مجانًا (يوحنا ١٥)
افما يستحق هذا الامر ان يهبط الله علي
الخطاة تلك النار التي انزلها علي سادوم
وعاموره * او ان يخسف فيهم الارض
لتبتلعهم احيا *
فليت الخطاة قلما يكون يهينون العزة
الالهية في مكانٍ مقتمٍ لا يراهم فيه احد *
الّا انهم اين يجدون مكانًا مثل هذا *
مكانًا لا يكون الله موجودًا فيه *
فالانسان اذًا يخطي امام الله تعالي وتجاه

وقساوة من اوليك سبع مرات ايضاً.
ولكن ربما ان هذا المسيحي الذي يرتكب الخطية. لايرتكبها غالباً لاجل ضرورةٍ باهظة * اي لكي يحفظ حياته. او ليربح مملكةً معظمة. او ثروةً غزيرة وافرة كلاّ * بل يخطي لاجل شي دني حقير لا اعتبار له * وهذا هو الذي يشكو منه الباري تعالي على لسان حزقيال النبي قايلاً * خالفوني لاجل يسيرٍ من شعير ولاجل كسرة جزية من الخبز (حزقيال ١٣) حيث ان الانسان الخاطي يغيظ الله عز وجل لاجل شيءٍ حقير بهذا المقدار. حتي انه لم يكن يرضَ من اجله بان يغيظ بشراً مثله * وقد تتصل خباثة قلبه الي هذا الحد. حتي انه يتوطا مجد الله تعالي

ان الذى احتقرني هو انسان صديقي قد احببته انا نظير نفسي. انسان كان ياكل معي على مايدتي * انسان مسيحي من خاصتي * ولذلك قد اجاد القديس اغوستينوس بقولهِ . انه ليستحق حقاً العذاب الجهنمي الرجل الاممي اذا ارتكب اثماً * واما المسيحي اذا اخطا. فانه ليستحق ان يخلق الله تعالى لاجل تعذيبهِ جهنم اخرى اشد عذاباً من الاولي * وان يقد لحريقهِ هذا الاتون الملتهب الجديد كمثل اتون بابل سبع دفعات اكثر من جهنم * اعني ليستحق ان يتعذب اكثر من الهالك الاممي سبع مرات بنار اشد الماً من تلك سبع مرات * ومن شياطين اكثر شراسة

وقساوة

اى ليس هو انسانًا مجبولاً من الطين فقط * بل هو انسان سيعود الي التراب ايضًا * وليس هو بشي تجاه الله عز وجل بل انما هو خليقة قد انعم الله عليها بخيرات عظيمة متعددة * خليقة قد ابرزها بقدرته الغير المتناهية وحفظها كذلك * انقذها من اسر الشيطان وصيرها ابنًا له في المعمودية * ناولها جسده الاقدس واسقاها دمه الكريم * فكيف اذًا يجاسر انسان مثل هذا ان يخطي الي ربه * مع انه لو يبدو هذا الفعل من رجل بربري امي لكان ربما يمكن ان يُعذر علي وجه ما . كقوله تعالي علي لسان النبي لو كانً العدو عيرني اذًا لاحتملت (مزمور ٥٤) * الّا

سوى ابن الله تعالى قادرًا على ان يفي
عن الخطية * وحقًا ان وفاء هذا الدين
كان يقتضي سفك دمه تعالى كله *
فربما يندهل عقلك من هذه الحقايق *
الّا انني انا اندهل متعجبًا متحيرًا من
انسان قد اضاءه نور هذه الحقايق * ومع
ذلك يتجاسر على ان يفتكر بخطية مميتة

* القول في اعراض الخطية المميتة *

اعتبر ثانيًا اعراض الخطية المميتة. اى
تامل من هو الذى كما قال اشعيا النبي
يخالف جابله * اى يعصى الله خالقه
ويهين عزة ربوبيته الالهية بارتكابه
الخطية * فهو كما يقول النبى المذكور
متحيرًا من وقاحته. انه اناء خزفي ويسير
من التراب (اشعياه ٤٥) * وليس هذا فقط

وصلواتهم . وكل دما الشهدا * ثم زدنا
على ذلك كل محبة المليكة وجميع
استحقاقات ملكة السما * فلا يوازى هذا
كله ثقل خطيةٍ مميتة واحدة صادرة
من انسان واحد *

بل انى ازيد على ذلك فاقول * انه لو
يخلق الله تعالي عدداً من العوالم يوازى
عدد نجوم السما * ويملأ هذه العوالم من
اناسٍ قديسين يواظبون مدة الف سنة
علي الصلوة والبكا * لما كانوا بهذه
كلها يستطيعون ان يفوا عن ادنى
جزء من قصاص الخطية المذكورة *
بل ان كل هذه الافعال الصالحة لا تكون
بالنسبة الى تلك الخطية الا كحبة رمل
بالنسبة الى جبلٍ عظيم * فاذاً لم يكن

مفعمة نارًا * ومن جهة اخرى خطية ما
مميتة * والجاتني الضرورة بان اجتاز من
احدى هاتين الجهتين * لكنت زجيت
بنفسي في البحيرة الملتهبة. افضل لي من ان
اشاهد هذا المنظر المريع الممقوت *
فمما تقدم ذكره يفهم المومن بسهولة
لاى سبب تجسد ابن الله تعالى * وما هو
الذى لاجله لاشي عزته الالهية * حيث
انه لقد كان من المستحيل ان يفى اخر
غيره تعالى عما يحصل لله ابيه من الاهانة
بالخطية * لاننا ان جعلنا خطية مميتة
واحدة في كفة ميزان عدل الله تعالى
الواحدة * ووضعنا بازاها كل ما مارسه
القديسون من الافعال الصالحة * وجميع
اتعابهم ودموعهم وصياماتهم وصدقاتهم

قايلاً * انني قد عرفت تفاقم غباوتك وقد
صعدت الي مسامعي كبرياوك (اشعيا ٣٧)
وقال الرسول ان الخاطي يحتقر الله
ويهين احكامه وغني صلاحه وطول
اناته (روميه ٢) * بل انه يتوطا ابن الله
ويحتسب دمه الزكي نجساً * ويصلب
السيد المسيح ثانيةً مستهزياً به حسب
قوله ايضاً (عبرانية ١٠ و٦) *
لعمري ان هذه الكلمات الرسولية توضح
لنا جلياً عظم اهانة الانسان الله تعالي
بالخطية وافراط شرها الغير المدرك *
ولاريب ان من يعقل حقيقة شر
الخطية جيداً فلاشك في انه يهتف مع
القديسة كاترينا الجنوية قايلاً هكذا *
انني ان عاينت من احدى الجهات بحيرة

بارتكابه الخطية . مع كونه عالمًا بان اناسًا لايحصى عددهم قد انتقم الله منهم لاجل خطاياهم * وعلى هذا النسق يحتقر بقية صفات الله سبحانه وكمالاته ويسي اليه عز وجل بكل انواع الاسا * فلا يختلجن في عقلك ان هذه الاعتبارات وهمية غير متاسسة علي الحق * لان جميع الاباء القديسين والمعلمين يتكلمون هكذا حينما يوردون جسامة افترا الانسان على الله تعالي بالخطية * بل ان الله نفسه يتكلم هكذا عنها بقوله علي لسان اشعيا النبي * انني ربيت بنين وشرفتهم بالعظمة وهم استهزاوا بي (اشعيا ١) * وفي محل اخر يوضح تعالي تفاقم قحة الانسان المتمرد على ربوبيته عز وجل

الاليم الذى احتمله من جرى خلاصه *
ويحتقر عز وجل نظرًا الى كونه ديانه *
وذلك حينما يستخف بصرامة قضايه وشدة
تعذيبه * ويحتقر تقدست اسماوه نظرًا
الي كونه صديقه * وذلك بعدم اعتباره
محبته تعالي ونعمته * ويحتقر جلت
خيريته نظرًا الي كونه اباه * وذلك
برذله وراثته السموية وشرف البنوة
الالهية * ويحتقر رحمته . وذلك باستخدامه
رجا عفوه ليهينه تعالي ويسيء اليه *
ويحتقر صلاحه * مصيرًا بل مغتصبًا
اياه لان يشاهد ما يبغضه في اقصى
حدود البغضة * ويحتقر قدرته الضابطة
الكل * وذلك باستخدامه اياها لافعال
ردية مرذولة منه تعالي * ويحتقر عدله

الكل ويحتقر الله تعالي بحسب انواعٍ
متعددة (دانيال ٣) * لانه يحتقر سبحانه
نظرًا الي كونهِ واضعًا عليهِ الناموس *
وذلك بعدم طاعته لشرايعهِ * ويحتقر
تعالي ايضًا نظرًا الي كونه مولاه وربه *
وذلك بعدم خضوعهِ لخدمتهِ * ويحتقر
الله جلت عزته نظرًا الي كونه غاية
الانسان القصوى * وذلك حينما يزدرى
بالسعادة الابدية التي وعد بها بجودٍ
غير موصوف * ويحتقر سبحانه نظرًا
الي كونهِ خالقه * وذلك بتمرد عقلهِ
وارادتهِ على من اتخذ منه الوجود *
ويحتقر تقدس اسمه نظرًا الي كونهِ
مخلصه * وذلك بعدم اعتباره الدم
الكريم الذى سفكه من اجلهِ والموت

فردوسك . غضبك لا يرهبني . وجهنمك
لدىّ كلاشي . انى اريد ان افعل ما يشاه
خاطرى وما ترغبه شهوتى * بل كانّ
الخاطى يهتف ايضاً بلسان الحال مع
فرعون قايلاً . من هو الله حتي اطيع
كلامه * هذا هو الازدرا والاحتقار العظيم
الذى لايستطيع ان يحتمله سوى من
يكون صبره غير متناهٍ *
فهذا هو قياس خبث الخطية واتساع
شرها . التي بها الخاطى يفضل خليقةً
دنيّة ولذةً جزية حقيرة على عزة الله
ضابط الكل * هذا هو الذى يتوقف عليهِ
شر الخطية التي بها يسيّ الانسان الي
ربهِ بانواع مختلفة * اذانه بها اى بالخطية
كما قال دانيال النبي يذنب الانسان في

من احدى الجهات يشاهد الله ربه
مقدماً له ناموسه ويامره بالّا يصنع
ذاك العمل الردى قايلاً له لاتسرق لا تزن
وهلم جرّا * ثم يعد باجر ابدى ان حاد
عن الشر * ويتوعد بعذاب موبد اذا
ارتضى به * وانه تعالى سيعدّ ايضاً
عدوّاً له مميتاً * ومن الجهة الاخرى يرى
الشيطان اخزاه الله مقدماً له لذّةً ما
قايلاً له * ما بالك تخاف من ان تسيء الي
الله وتغيظه * دع الان عنك هذا الهم *
تمتع بهذه اللذة المقدمة لك * وبعد ذلك
افتكر في ان تصالحه * فاذا ارتضى
الخاطى بذلك. فبلا شك يترك الله مبتعداً
عنه عز وجل * قايلاً له بلسان الحال
هكذا * لست ابالي منك . وماهو

وعذاباتها * فتامل اولًا ان الشي الذى
يصيّر الخطيّة شرًا مريعًا وعلي نوعٍ ما
شرًا غير متناهٍ * هو كونها اسية الي
الله تعالي واهانة لعزتهِ الغير المتناهية *
علي انه من هذا ينتج انه بمقدار ما يكون
الله سبحانه محبوبًا * بمقدار ذلك تكون
الخطية ممقوتة * وانه كما انه من المستحيل
ان نحب الله تعالي بمقدار ما يستحق
من المحبة * هكذا من الممتنع ان نبغض
الخطيّة كحسبما تستحق من البغضة *
ثم اعتبر ان اساءة الانسان الي البارى
عز وجل بالخطية يصير بطريق المقابلة
والتفضيل * وهذا هو الذى يزيد جرم
الخطية شرًا * فتصور اذًا الانسان في
حين التجربة علي هذه الحال * وهي انه

نبذل كل مجهودنا فى ان نعقله على نوعٍ
ما. لكى نبغضه اكثر من كل شر * لان
السبب الذى من اجلهِ يقتبل الخطاة في
قلوبهم شر الخطية انما هو عدم معرفتهم
بهِ * ان الكتاب المقدس يدعو كل
خاطى انساناً جاهلاً غبياً * ويكرر هذه
التسمية ينيف عن ثلثماية مرة * فمن اجل
ذلك ولكى ننزع عن اعين الخطاة برقع
هذه العماوة المهلكة * نقدم هنا بعض
اعتبارات من شانها ان تصيّر كل مومن
ان يبغض الخطيّة ويتحفظ منها فيثبت
في مقاصده الصالحة *

* القول في ماهية الخطية المميتة *

فلنعتبرنّ الخطيّة اولاً في ذاتها. ثم
لنلاحظها في اعراضها ومفعولاتها

دون الندامة الواجبة * وهذا ممكن
حدوثه لامحالة * فلماذا اذًا تلقي نفسك
في هذا الخطر العظيم * ولماذا لاتجعل
امر خلاصك في امان * فان اردت ان
تدخل الحيوة . فاحفظ الوصايا (متي ١٩)

* الفصل الرابع عشر *

* في ايراد عظمة شر الخطية *

قال المرتل في مزموره ١٨ من يفتكر في
العثرات . من يتامل عظم شر الخطية
ويفهمه * من يقدر ان يدرك بالفهم
جزيل عمق هذه الهوة اعني بها هوة
خباثة الخطية المميتة * حقًا ان شرها
يفوق ادراك عقل المليكة فضلًا عن
البشر * غير انه مع هذا يجب علينا ان

هذه الحيوة ان يذوق قليلاً من عسل
اللذات اللحمية * ولاجل هذا يحكم عليهِ
بموتٍ ابدى بالخلود في نار لاتفني المحترق
بها ولا تزال اكلةً * فمن ذا الذى
يرتضى بالمكث في اتونٍ ملتهب مدة
ليلةٍ واحدة لكى يتمتع بعدً ذلك بكل
لذات العالم * فكيف اذاً اترج بنفسك
في مثل هذا الخطر العظيم * من اين تعلم
ان خطيتك الاولى لاتكون هى الخطية
الاخيرة والفعل الاخير من حياتك * لانه
ربما قد اوتر الله قوس عدله وهيا فيه
السهم الذى ينفذ قلبك وفيه تقضى
اجلك * وانك ان عدت الي الخطية
فربما انك لاتجد فرصةً للاعتراف * وان
وجدتها واعترفت فربما انك تعترف من

نارية * ويحتمل كل ما اختاره عدل الله
في حين احتداد غضبه ليعذب به الخطية
وذلك الى ابد الابدين *
فمن يتامل هذا جيدًا ويتعمق في البحث
عنه ويتحقق ذلك كما ينبغي * فهل يمكنه
فيما بعد ان يبتاع لذةً خيالية وقتية
بعذابات مريعة موبدة * فان كنا نرثي
ليوناتان المسكين حينما نتذكر ان
اباه الملك حكم عليه بالموت لاجل انه
تناول براس عصاه قليلًا من العسل
خلافًا لما امر به والده * وكيف انه اعني
يوناتان لمّا سمع هذا القضا المحزن قال
متاسفًا. انني ذقت قليلًا من عسل فمن
اجل هذا هوذا انا اموت (ملوك ١ ص ١٤)
فماذا يكون اذًا حزن من رام في

او الهلاك الابدى * ليت شعرى ان
سجل عليك هذا الحاكم الرهيب قضا
اللعنة وطُرحت في سجن المرذولين *
فمن هو الذى يفتح لك الباب لكى تخرج
من هناك * من من اصحابك وخلانك
يفتقدك في هذه الدركات الملتهبة
ويقدم لك علاجًا * فتصور اذًا هذه
كلها تصورًا حيًا * ثم لاحظ بناظر
عقلك غضب انسان ايس حاصل علي
هذه الحال * اعني بها حال انسانٍ ملعون
من الله مرذول منه تعالي الي الابد *
محكوم عليهِ بعذاب نار آكلة والمكث
الدايم في سجنٍ مقتم مدلهم ملتهب *
حيث يكون مستغرقًا في بحيرة كبريت
وقير مضطرم * ويوثق بسلاسل حديدية

الان حقًا * اما كنت ترغب بافراط
وتشتهي بوفور ان تُعطى ولو بعض
ساعات من هذا الزمن الذى تبدرفه
الان باطلًا * فاذًا ما اشد ما يكون
حزنك * وما انكى وامرّ ما يكون تضيق
قلبك حينما تفاجيك تلك الليلة الاخيرة من
حياتك * وتعاين نفسك خاوية خالية
من افعال البر والصلاح * والحال ان
هذه الليلة التي لا يستطيع فيها احد عملًا
اصلًا قد اقتربت (يوحنا ٩) * ليت شعرى
ما ارهب واشقى ما تكون وقتيذٍ حالك
حال انسانٍ ماضٍ ليمتثل بضمير متدنس
بخطايا متعددة امام الهِ النقمات * الهٍ
متمنطق باسلحة العدل والقوة * الهٍ
عتيد ان يقضى عليك قضاة الخلاص

اذكر عواقبك فما تخطى (ابن سيراخ ٧)
لانه من تراه يتجاسر على ان يخطى وهو
مفتكر في انه عتيد ان يموت . وسيفارق
اعز ما لديهِ اعني بهم اصدقاه واقرباه
وامواله وتنعمه وجسمه * وانه بعد ان
يكون تعرى على هذا النسق من كل
شي يلقى في جوف الارض ليكون مرعى
للدود والحشرات . من غير ان يستطيع
في ساير الدهور العتيدة ان يجد دقيقة
واحدة من الزمن ليصنع فيها الخير الذى
اهمله ويصلح الشر الذى اجترمه * والحال
ان هذا كله لابد من ان يحدث عن
قريب * فقل لي اذاً ماذا تفيدك حينيذٍ
هذه اللذات وهذه العظمة والثروة *
فليت شعرى لو عرفت ياهذا انك تموت

لاجل استقامته علي حال الصحة مدة ما
من الزمن * اليس هو من المحقق انه
لايزال خزفيا. وبالنتيجة لايزال ضعيفا
قابل الانكسار * انه لكي يسقط الانسان
يكفيه لان يوجد في خطر السقوط *
وذلك من حيث ان قوته ليست هي
بكافية لصيانته * ولانه من جهة اخرى
يمسك الله تعالي عنه العون الخاص
الذى من دونه يسقط لامحالة *
امّا الواسطة الاخرى التي تبلغنا الي ان
نثبت في النعمة الي النفس الاخير * فهي
الاعتنا في تامل هذه الحقايق المعتلنة لنا
من الايمان * اعني بها قصر هذه الحيوة.
وقرب الموت. والعذابات المعدة للخاطى *
وذلك حسب مشورة الحكيم القايل

باحتراس المخاطباة الردية والمعاشرات الفاسدة واللحظات المنحرفة. وكل ما من شانه ان يثلم الاحتشام والادب * فلا تعتذر بقولك لي انه لايوجد في هذه كلها خطر * لانني اجيبك قايلاً ان كان القديسون عواميد السّما قد تساقطوا مرات كثيرة في مثل هذه الاتفاقات * فكيف لايسقط فيها الخاطي الذى يشبه قصبة تحركها بل تكسرها ادني هبة ريح * وان استثنيت فقلت انني قد حصلت مرات كثيرة في مثل هذه الاتفاقات ولم اسقط * فاجيبك مستفهماً منك قايلاً. العلك انت لاجل هذا السبب نفسه قد حصلت غير قابل الخطيّة * العل الاناء الخزفي يزداد قوةً امر هل ينقص ضعفه

بقولهِ اسهروا وصلوا (متي٢٦) * اى ان
نجاهد متيقظين ونسعى مع نعمتهِ ونفعل
ما يمكننا ان نفعله * ونطلب ما نحن
عاجزون عنه حسب تعليم القديس
الجليل اغوستينوس * فمن اجل ذلك
يجب علينا ان نستعمل واسطتين اخرتين
ضروريتين لنحظى بنعمة الثبات في البرِّ
الي النفس الاخير *
فالواسطة الاولي هى الفرار من اسباب
الخطية * على انه قد تحقق بالتجربة ان
الزجاج مع كونهِ معدناً سريع العطب
جداً . فمع ذلك يستمر صحيحاً اكثر
من الحديد نفسهِ اذا ما ابعدناه من خطر
الانكسار * فهذا نفسه يجرى بمن
ييأس من نفسهِ وقوتهِ . ويجتذب

ابدًا * فلا تسمحي ايتها الام الرحيمة بان يبدو مني ما يغيظ ابنكِ ديان نفسي وانطرح في هوة جهنم لاجل لذة وقتية * ليتني استطيع ان ابكي دمًا بدلًا من الدموع على جسامة خيانتي لمن يستحق كل محبتي لاجل جودتهِ وحسناتهِ التي وهبنيها * استميحي لي ايتها الام الحنونة غفران خطاياي * واهليني بشفاعاتكِ لان اموت موتًا سعيدًا فافوز بالخلاص واحظى بمشاهدتكِ * شاكرًا افضالكِ في الملكوت السماوي الى ابد الدهور كلها

* امين *

الّا انه من حيث ان الله تعالى لا يطلب منا ان نصلي فقط * بل ان نسهر ايضًا

الغبطة مريم البكر والدة الله. التي بشفاعاتها حزنا حسنات متكاثرة * ولنقل نحوها هكذا *

ابتهال للعذرا المجيدة

ايتها العذرا الراوفة يامن قد ارتضت لوفور حنوها بان تكون ملجا الخطاة المساكين * فها هوذا انا واحد منهم بل اشقاهم حالاً * الّا انني الان قد قصدت ان اتعبد لكِ من كل قلبي على الدوام * ولذلك التجات اليكِ بطمانينة طالباً من كرمكِ بكل حرارة قلبي ان تمديني اليوم بشفاعاتكِ الغير الخازية * وذلك لاجل استحقاقات دم ابنكِ الحبيب المهراق حبًّا بي * ياليت البلايا كلها تنزل بي ولا ان اسقط في خطيةٍ مميتةٍ

القديس * انه لمن المحقق ان الله سبحانه يهب كل مومن من دون كل طلب النعمة الاولى وذلك بواسطة سر المعمودية * الآ انه تعالي لايمنح المومنين نعمة الثبات الاخير من دون الصلوة (انتهى) ومن ثم نلتزم ضرورةً بان نصلي في حين التجربة الشديدة التي من شانها ان تلقينا في خطر السقوط في الخطية * وان اهملناها اى ان كنا لانصلى فنرتكب خطية جديدة مختلفة عن تلك التي اسقطتنا فيها التجربة *

وما عدا التجائنا الي الله تعالي بالصلوة في حين ضرورتنا * فيجب علينا ايضاً ان ندعو القديسين * لكونهم وسطا خلاصنا عند الله سبحانه * لاسيما المثلثة

التجربة (متي ٢٦) * فسبب مسكنتنا اذاً وشقاينا. انما هو توانينا لاغير * وهذا هو ما قاله يعقوب الرسول انكم عاجزون محتاجون لانكم لا تطلبون شياً (يعقوب ٤) *

ثم ان الصلوة هي ضرورية للخلاص الابدي ضرورة هذا عظم مقدارها. حتي انه لمن المحال ان يفوز بالخلاص من لا يستغيث بالله تعالي طالباً نعمته ورحمته * ومن اجل ذلك قد ذهب القديس اغوستينوس الي ان الصلوة ليست هي الواسطة العظمي للثبوت في حال النعمة الي النفس الاخير فقط * بل انها هي ايضاً الواسطة الوحيدة لنيل هذا الغرض * لانه هكذا قال هذا

القديس

بالصلوة بامانة تنالونه (متي ٢١) * ثم ان
الصلوة ما عدا جزيل فاعليتها . فهي ايضًا
واسطة سهلة هينة جدًا * لانه ما اسهل
واهون لدى الرجل المسكين ان يلتمس
احسانًا من رجل غني سخي * فاذًا
لا عذر لنا نظرًا الي هذه الحجة * على انه
لفي طاقتنا ان نثبت في حال النعمة
ونصون انفسنا من الرجوع الي الخطية.
وذلك بواسطة الصلوة * اى بالتماسنا
المتواتر العون الالهي بروح الاتكال
والاتضاع مقرين معترفين بان الله جلت
رحمته لا يستجيب لنا لاجل استحقاقاتنا *
لكن لاجل مجرد جوده وصلاحه
ولكي يتمم مواعيده * قال السيد المسيح
له المجد اسهروا وصلوا ليلا تدخلوا

مرات كثيرة هذا الطعام الطاهر هذا الخبز
السماوى * فلا ريب ولا جرمَ في ان
نفسك تعود بيضا مثل الثلج اعني نقية
ناجية من كل خطية *
امّا الواسطة الثانية المفيدة للثبوت في
النعمة فهى الصلوة التي كما قلنا انفا قد
جعلتها العناية الالهيّة واسطةً عامة
لنيل حسناتها * فالصلوة اذاً هى واسطة
جزيلة الفاعليّة . من اجل ان الله
سبحانه وعدنا مرات كثيرة بانه يستجيب
لنا حينما نلتجى اليه ونطلب ما نحتاجه
لبلوغ الخلاص * لان هذا هو معني
قوله تعالي في الانجيل المقدس اطلبوا
تعطوا (لوقا ١١) * ان سالتم ابى شيأ
باسمى يعطيكم (يوحنا ١٦) وكل ما تسالونه

اكثر الذين قد صيّروه الان خبزًا سنويًا
بتناولهم هذا السر الالهي مرة واحدة فقط
في كل عامٍ * فليعلم مثل هولاء انهم
يحتاجون الي مرشد حكيم فطن يمرنهم
علي تناول القربان المقدس في اوقات
معينة . لكي تنتزع منهم صلابة القلب
وجفاوته * واذا راوا ذلك المرشد
لا يامرهم بهذا فليكونوا هم اطباء نفوسهم *
وليستعملوا هذا الدواء . اى ليتناولوا
هذا السر الالهي في كل شهر مرة واحدة *
بل اكثر من ذلك ايضًا اذا امكنهم *
وقد لحظ بعض معلمين فقالوا . ان
الارانب المستوطنة الجبال العالية ليست
هي بيضا الا لكونها تقتات من الثلج على
الدوام * فاقتد اذًا بهذا المثال * وتناول

يقويكم ويظفركم بالعدو * لم لم تتقدموا
الي مذبحي وتتناولوا جسدي * فلانكم
اهملتم الغذا . فلذلك خارت قوتكم
بالكلية * فاذا سمع اوليك هذا التوبيخ
الالهي لعلهم يجدون لهم ما يعتذرون به
لالعمري * بل ان الاثم كما قال النبي يسد
افواههم (مزمور ١٠٦) * فيتضح حينيذٍ
ويتحقق انهم انما هلكوا من اجل انهم
هكذا ارادوا * اذ انهم اهملوا دواء
سهلاً عذباً مقدماً لهم من السيد المسيح
لاجل خلاصهم *
فما هذه الغباوة يقول القديس
امبروسيوس * هاهوذا ابن الله قد رسم
هذا السر لكي يكون خبزاً يومياً . اي لكي
يتناوله المومنون كل يوم * ولكن ما

اخرى يسوغ لنا ان ندعوها شجرة
حيوة الهية * وذلك لكي تستطيع نفوسنا
بتناولها من اثمارها ان تستمر حاصلة
على حيوة النعمة * وهذه الشجرة السرية
هي سر الافخاريستيا المسجود له *
فالذين اذًا يتناولون نادرًا هذا السر
الاقدس ان كانوا يسقطون في الخطية.
فليس لهم حجة يعتذرون بها * لانه ما
الذي يقولونه لتبرير انفسهم في يوم
الدينونة * هل يقولون انهم لاجل
ضعفهم الطبيعي ما استطاعوا ان
يقاوموا العدو القوي الباس الذي هو
الشيطان * الّا انه تعالى يجيبهم قايلًا.
كيف وانتم عارفون بجزيل ضعفكم
لم تلتجئوا الي ما كان له استطاعة ان

تجارب الشيطان والجسد والعالم *
والحال انه لكي ننال هذا العون الالهي
الخاص ليس لنا غير هاتين الواسطتين.
اعني بهما تناول القربان المقدس بتكاثر.
والمواظبة على الصلوة *
فمن جهة الواسطة الاولي نقول . انه كما
ان الله تعالي لما خلق الفردوس الارضي
وخلق فيه اشجارًا تبهج النواظر وتلذ
الذوق .كان يوجد بينها شجرة واحدة
تدعي شجرة الحيوة .لانه بها اي بالتناول
من ثمرتها حينًا فحينًا كان الانسان
قادرًا علي ان يحفظ صحته الاولي علي
حالها . وهكذا ينجو من الموت *
هكذا فعل ايضًا عز اسمه في كنيسته
المقدسة * اي انه نصب فيها شجرة

المتكاثر الى الخطية بعد الاعتراف عنها
يزج النفس ويلقيها في اعظم مخاطر
الهلاك * لانه ماذا تكون نهاية انسان
يجول كل يوم حول باب جهنم * بل
لايزال يقرعه ايضاً * اليس مثل هذا
يخشي عليه من ان يُفتح لهُ الباب
ويختطفه الشيطان ويزجه في دركات
العذابات المويدة *
وان سالتني مستفهماً ما هي الوسايط
التي تعين الانسان علي ان يثبت في
مقاصده الصالحة ويصد نفسه عن
الخطية * فاجيبك مع الاباء القديسين
جميعهم قايلاً * انه لكي يستمر الانسان
ثابتاً في الخير فيحتاج الى عونٍ خاص
الهي ونعمةٍ خصوصية تقوي نفسه بازاء

ثم فرّ منها بعناية جزيل سالماً * فياليتنا
كنا نقتدى بهذا الطاير * لعمرى اننا
لم نكن نحتاج الي من يقدم لنا نصايح مفيدة
لصيانة نفوسنا من الخطايا المستقبلة *
ولكن من حيث ان الامر لايجرى هكذا *
فلهذا يلزمنا ان نورد هنا بعض نصايح
فنقول *
انه ليجب عليك ايها الاخ ان تحسن
الحذر جدًا وتتحفظ بكل جدك وجهدك
من ان تعود الي الخطية. ليلا تحصل علي
حالٍ اشر من الاولي * لكون الشيطان
الذى خرج من نفسك بواسطة سر
التوبة . اذا راك غير منتبه على ذاتك .
فيرجع اليك بسبعة ارواحٍ اخر اشر
منه (متي ١٢) * ولعمرى ان الارتجاع

الفصل الثالث عشر

في الوسايط التي يجب علي المومن ان يمارسها بعد الاعتراف لكيلا * يعود الي الخطية *

اعتبر ان غاية سر التوبة تتوقف لا علي النجاة من خطايانا السالفة فقط * بل على التحفظ منها فيما بعد ايضاً * ولهذا من يقصد ان يعترف اعترافاً جيداً فلا يكفيه ان يتوب فقط علي ما فرط منه من الذنوب * بل ينبغي له ايضاً ان يستعمل الوسايط التي يستطيع بها ان يصون نفسه من الارتجاع اليها * انه لا يوجد طاير يتوقي شباك الصيادين واشراكهم اكثر من ذاك الذى يكون اقتنص بها

يمكنك ان تفي به عنها في زمن حياتك
هذه *
فعليك اذًا بان تحث نفسك بهذه
الاعتبارات وتحرضها على ممارسة
افعال التوبة التي هي الصوم والصدقة
والصلوة * واعلم انه يراد بالصوم ممارسة
كل الافعال التي تضني الجسد وتولمه *
ويشار بالصدقة الى كل افعال الرحمة
نحو القريب * ويراد بالصلوة جميع
الافعال الملايمة عبادة الله تعالى * فان
مارست هذه الافعال جميعها فلا جرم في
انك تكون قدمت لله سبحانه محرقة
تامة * ووفيت عن خطاياك
وفاءً كاملاً
*

الفضلات الي مكان نظيف جدًا *
وليحرق هناك ما بقي من المحرقة بنار
اشد اضطرامًا وحرارةً من الاولي *
ولعمري ان هذا الطقس الناموسي يشير
بطريق الرمز الي ان من لايتمم الان في
هذه الحيوة الوفا عن خطاياه بافعال التوبة
الضرورية * فيكون قد قدم لله محرقة
غير كاملة * فمن ثم لابد له من ان يتممها
بعد ان يكون تعرى من جسده *
وسيلتزم بالذهاب الي المطهر المدعو
بالنص الالهي مكانًا نظيفًا جدًا * وهناك
سيتمم الذبيحة بنار اشد قوةً جدًا من
الاولي * اى انك ياهذا سوف تفي عن
خطاياك في النار المطهرية الي اخر فلس
عليك بتالمٍ وعذابٍ اعظم جدًا مما كان

استحقاقا * وتصير افعالنا اوفر وفاء *
ان البعض من الكهنة يفرضون علي المعترف قانونا خفيفا جدًا من اجل خطايا قد كانت الكنيسة تفرض لاجلها قوانين ثقيلة مستصعبة * وذلك امّا لانهم لا يستعظمون تلك الخطايا * وامّا حذرًا من ان يستثقلها المومنون الضعفا فيستصعبون سر التوبة * فمن ثمه اشير عليك بالّا تكتفي بالقانون الخفيف المفروض عليك من الكاهن * بل زد عليه من تلقا ذاتك بعض افعال صالحة * متذكرًا انه في العهد القديم حينما كان يبقى من الذبيحة جزء ما لم تفنه النار * فكان الناموس الالهي يامر الكاهن بانه بعد ان ينزع عنه ثيابه الاولي ينقل تلك

اجلهِ كثيرًا . اعني بهِ نعمة التبرير ومغفرة خطاياك * وفي اثنا ذلك هيي نفسك لاتمام القانون المفروض عليك من الكاهن * وها انا اقدم لك في هذا الصدد نصيحتين *

النصيحة الاولى هي ان تتمم القانون بلا تاخير ولا ابطاء لكي تكمله وانت في حال النعمة * لانك اذا ما تممته في حال الخطية فلا تستحق بهِ شيأً *

النصيحة الثانية هي انه يفيدك ان تطلب من الكاهن ان يفرض عليك قانونًا ثقيلًا مستطيلًا * لان الافعال المفروضة منه اي من الكاهن بوجه القانون اذا ما مارسناها بهذه النية. اي لاجل انها افعال قانونيّة مفروضة * فانها تجدينا اعظم

من احدى الجهات يظهر لنا رحمته الغير المتناهية. وذلك حينما يغفر لنا الخطية * ومن الجهة الاخرى يظهر عدله بالزامه ايانا بوفائها *

فهذا الوفا المدعو غالبًا قانون الاعتراف هو الشي الثالث الملتزم به المومن بعد الاعتراف * وهو جزءٌ من اجزاء سر التوبة* الّا انه ليس بجوهري لكن متمم كما تقدمنا فقلنا * فاذًا بعد فروغك من الاعتراف اقتدِينّ بالسامري ذاك الذي بعد ان نال الشفا من برصه عاد راجعًا الي السيد المسيح ليقدم له الشكر على احسانه اليه * فلا ريب في انه تعالي يسر بك كما سر بذاك * فاثنِ اذًا الشكر لمخلصك الرحوم الذي منحك بسهولةٍ ما قد تكلف من

* الفصل الثاني عشر *

فيما يجب فعله بعد الاعتراف

انه وان كان الله سبحانه يميل طبعاً الي
فعل الرحمة ولايدع عدلهُ يودبنا منتقماً
منا الآ حينما نضطره الي ذلك بخطايانا *
الآ انه تعالي من حيث انه يمتلك هذين
الكمالين علي حدٍ سوى ۰ فمن ثم يقرن
في تدبيره العالم افعال العدل مع افعال
الجودة * كما انه وان كان الانسان
يستخدم يده اليمني اكثر مما يستخدم
يده اليسرى * الآ انه مع ذلك اذا مامارس
امرًا ما معتبرًا فيستخدم لاتمامهِ اليدين
معًا * فهذا نفسه يصنعه الله تعالي في
محكمة سر الاعتراف * على انه سبحانه

يخسر حالاً اجر كل ما فعل من الخير قبلاً * قالت هذا ثم غابت عنه وهي تصرخ صراخاً مرعباً *

فانتبه اذاً ايها الاخ المومن * ولكونك قد قصدت بنعمة الله تعالي ان تخلص نفسك فانتصر علي كل خجل قد يمكن ان يشملك في حين الاعتراف * واقتد بمشورة القديس بوناونتورا * اعني اورد في ابتدا اعترافك تلك الخطية التي تسبب لك اكثر خجلاً * لان هذا الامر يسهل لك الانتصار علي الشيطان المجتهد في سد افواه الخطاة في حين الاعتراف بواسطة

الخجل

*

لعلها تتوب فتخلص * الآن الشقية
اتخذت من اناة الله تعالي وصبره عليها
سببًا للاستمرار في حال الخطية * ولم
تذكر اثمها في اعترافاتها * وكانت مع
ذلك لاتزال تحسن الى المساكين
بصدقات كثيرة . ظانة انها تنال الرحمة
من الله سبحانه بواسطة افعال الرحمة *
الآ انها لقد اضلت نفسها بذلك وانخدعت
من الشيطان * لكونها ماتت وهي في
هذه الحال * ثم ظهرت لراهبٍ ما وكان
ذلك الراهب ابنها * وقد ظهرت له على
هذه الهيئة . اعني ما بين تنينين كانا
يقطعان لحمانها باسنانهما * فاوردت له
سبب هلاكها * ثم قالت له اخيرًا اعلم
ان من يخفي في الاعتراف خطيةً مميتة

الخطاب بقولك لي اني ساصوم والبس
المسح واحسن الى الفقرا بصدقات
وافرة * لان هذا كله غير كافٍ ولا يفيدك
للخلاص شيأً * وانه لابد لك من الانتصار
على الخجل او من الموت الابدى *
ولاثبات ذلك اسمع ما ورد في الاخبار *
خبرونا عن امراة شريفة الحسب
والنسب . اصيلة في الفضيلة . محبة
الصدقة بهذا المقدار . حتي انها كانت
تدعي من الجمهور ام الفقرا * فهذه الهب
الشيطان في قلبها نار محبةٍ دنسة نحو
احد خدامها فسقطت معه * ولما ولد لها
من هذه الصحبة الزنوية ولد فخنقته لكى
تستر اثمها وتحفظ صيتها * وقد اطال
الله تعالي اناته عليها ولم ينتقم منها حالاً

يتعذب اناس لا يحصى عددهم من اجل انهم لم يعترفوا عن خطاياهم * ويلعنون انفسهم علي غباوتهم مرددين في عقولهم هذا الفكر دواماً * وهو انني قد كنت استطيع ان اخلص نفسي بسهولةٍ وانا ابيت عن ذلك * فكيف ترى يكون الان حزنهم * بل كيف يكون اضطرام غضبهم المستكلب *

ولكن ربما انك ترجو النجاة من هذا العذاب بواسطة بعض افعال صالحة من دون اعتراف تام عن خطاياك * الآ ان هذا الرجا لضلال عظيم كثيف مهلك * لانه لابد لك من احد هذين الامرين * اعني امّا الظفر بهذا الخجل الوقتي الخياليّ. وامّا الخلود في دركات الجحيم * فلا تعد

الآن الاعتراف الغير الصحيح هو شر اعظم من ذلك * فعليك اذاً ان تشجع نفسك في حين الاعتراف وتخاطبها بما خاطب به احد القواد جيشه قايلاً * انه ينبغي لنا اليوم امّا ان نظفر بالغلبة امّا ان نموت * فقل لها اذاً انه يلزمني الان ان انتصر علي قليل ما من الخجل الذى يعتري من يورد خطيته لانسانٍ لا يقدر ان يتكلم عنها ولو الجي الي الموت * لانسانٍ شفوقٍ ومستعد لمداواة جراحاتي * لانسانٍ قد سمع مرات كثيرة خطايا اعظم من اثامي * انه يلزمني اليوم امّا ان اموت موتاً ابدياً. امّا ان انتصر علي هذا الخجل الجزءى الذى ليس هو شياً بالنسبة الي خجل جهنم . حيث

يتعذب

منذ الزمن الفلاني * فلماذا اذاً لا تتكلم هكذا مرشدك الذى هو طبيب نفسك * فاورد له اذاً ما هو موكد عندك وما هو تحت الشك والريب كما هو في عقلك *

ولتكن خطاياك الموردة بلسانك كما هي في مخدع قلبك * ليلا يلتزم الله تعالى بعد موتك بان يغير حكم مرشدك عليك ويسجل على نفسك قضاء الهلاك الابدى * ومن ثمه يكون قد بطل حل الكاهن لك الذى انما كان ابرازه باطلاً بذنبك * ان الاعتراف من دون ايراد الحق على النسق المذكور ليس هو سراً بل انما هو نفاق * فالاباء عن الاعتراف والهرب منه هو خطية حقاً *

ايام قليلة . يختلف عن الدواء الذي
يقتضيه داءٌ ابتدا منذ زمنٍ مستطيل *
كمرض ذاك المخلع المذكور في الانجيل
المقدس الذى كان لهُ في علتهِ ثمان
وثلثون سنة * وقد كان رمزًا عن اوليك
الخطاة الاشقيا الذين يتعتقون متمرغين
في حماة الدنس . الذين يحتاجون الى
ادوية خصوصيّة ونصايح اشد تاثيرًا
وفاعليّةً لصدهم عن الارتجاع الى
الخطيّة *
على انه اذا افتقدك الطبيب وكنت
معتري بالحمى من مدة ايام متعددة *
فهل تكتفي في قولك لهُ انني تالمت في هذ
الليلة من قِبل الحمى لاعمرى * بل تريد
على ذلك قايلًا لهُ ان هذ الحمى قد اعترتني

منذ

ان القرابة طبيعية ام روحية * واعلم ان القرابة الروحية تتم بواسطة المعمودية وسر التثبيت * وهل كان ذاك الشخص نادر العفة * او هل كان مختلف الجنس عنك كالاختلاف الحاصل ما بين ذكر وانثي * فهذا الذى اوردناه فيهِ كفاية * لانه لاحاجة في ان نطيل الشرح في هذا الصدد . لعلمي بان ضميرك ينبهك علي ما تلتزم بهِ *

وان سالك مرشدك عن مقدار استمرارك علي هذه الخطيّة . او معاشرة ذاك الشخص . فاورد لهُ الامر جليًا * بل اورد لهُ هذا وان لم يسالك عنه . وان لم تكن انت ايضًا ملتزمًا بايراد ذلك * لان الدواء لعلةٍ ابتدات منذ

وكن مطمانًا * لانه لايخص التلميذ الغير العالم ان يدقق في هذا الامر * وقد يغني عن ذلك سوال مرشدك * وان كان المرشد لا يسالك ايضـــًا . فيغني الله عنه * لانه تعالي لا يلزمك بحفظ تلك الوصايا التي قد اتفق من دون كل خطيّة الّا تنتبه عليها *

اعتبر هنا ان الالتزام بالاعتراف عن تلك الاعراض الضرورية يلاحظ خطية الزنا اكثر من غيرها من جميع الخطايا * لان اختلاف حال الذين يرتكبون هذه الخطية يزيدها خباثة مختلفة * فيلزمك اذًا ان تذكر في الاعتراف هل الشخص الذي اخطات معه كان مزوجًا امر غير مزوج * قريبًا لك امر غير قريب * وهل

ان

لايخطى ضد العدل فقط . بل انه يخطى
ضد الديانة ايضاً * ويخالف لاالاحترام
الواجب لحيوة الانسان فقط . بل الاحترام
الواجب للمقدس الالهى ايضاً *
نعم ان هذا القياس ليس هو عمومياً
بهذا المقدار حتي انه من بعد لايحتاج
الي استثناء وزيادةٍ ما * الآ انه من حيث
ان هذا يفيد قليلاً لاتقان الاعتراف
الذى هو اخص مصقودنا هنا . فمن اجل
ذلك لانزيد شياً علي ما قلناه * ولكن
ان كان هذا ايضاً لايكفيك لتمييز
الاعراض المغيرة نوع الخطيّة فاتبع
مشورتى هذه * اى اورد لمرشدك ما
يستبين لك انه يزيد علي خطاياك خباثة
وشناعة جديدة * واقتنع في هذا الامر

مختلفة الانواع اختلافا معتبرا * الّا انك
ربما لاتفهم كلامي هذا * فنتكلم اذًا عن
ذلك باوضح بيان فنقول * ان القياس
الاتي ذكره يستبين لي انه هين وملايم
لحل مشكلات كثيرة فاعتبره اذًا جيدًا *
وهو ان الاعراض التي بها يخطى الانسان
ضد فضايل مختلفة. هى التي تغير النوع *
لان الذى مثلًا يقتل عدوه بالحديد
لا يرتكب خطية مختلفة النوع عن خطية
من يقتل عدوه بالسم * وذلك لانه في
هذين الامرين يخطى الانسان ضد
فضيلة واحدة وهى العدل * وبعكس
ذلك من قتل عدوه في كنيسة. فقد
اخطا خطية مختلفة النوع عن خطية من
قتل عدوه في الشوارع * لان ذاك

اقل من العدد الحقيقي. وكان ذلك من
دون نية خبيثة. فتنال مغفرة خطاياك
التي اوردتها والتي لم توردها على حد
سوى لامحالة *
امّا من جهة اعراض الخطايا فاعلم انه
يلزمك ان تعترف قل ما يكون عن
تلك الاعراض التي تغير نوع الخطية *
وان قلت ماهي اجبتك قايلاً * اولاً انه
ليس هو بامر سهل ان اقدم لك بكلامٍ
وجيز قياساً مدققاً كاملاً يتضمن كل
شي و يصفه لك ويسهل فهمه للجميع *
غير اني اقول هذا. وهو ان الخطايا
تكون مختلفة النوع حينما يكون
تضادها العقل النطقي مختلفاً بهذا
المقدار. حتي انه يستبين واضحاً انها

الذى يستبين لك انه الاصح و الاقرب الى
الحق * واما اذا اتفق ان جزيل كثرة
خطاياك لا يدعك ان تقول العدد
لاكثر قربا للحق * فاورد من كم
مقدار من الزمن انت معتاد على تلك
الخطية * وهل كنت تسقط فيها مرات
كثيرة ام قليلة * فقل مثلا هكذا.
انني اعاشر من مدة سنة شخصا معاشرة
رديئة * وقد كنت اسقط معه في الخطية
كل يوم او كل جمعة او كل شهر مرتين
او ثلث او اربع مرات * انني ربيت في
قلبي بغضا للقريب مدة خمسة اشهر او
خمس سنين * وفي هذه المدة كنت افتكر
على الدوام في كيف انتقم منه * فاذا
حدث انك في اعترافك اوردت عددا

اقل

علي طبيبه الذى يداوى جراحه لكى
ينال الشفا . ولايغتاظ من نفسهِ هو
الذى رشق السهم وبهِ طعن نفسهُ *
الصفة الثانية الضرورية للاعتراف هى
صحته * امّا صحة الاعتراف فانها ليست
بقايمة في هذا فقط وهو ان تورد كل
الخطايا المميتة التي قد انتبهت عليها بعد
الفحص عنها باجتهاد * بل انه لابد ايضاً
من ايراد عددها واعراضها قل ما يكون
تلك الاعراض التي تغير نوع الخطية *
فمن جهة العدد لقد يلزمك ان توضح
كمية خطاياك بالتدقيق ان كنت
عارفاً بها * ولكن ان فحصت فحصاً
واجباً عن ذلك ولم تقدر ان تعرف
الكمية. فيكفيك حينيذٍ ان تقول العدد

الذى

وقل مع النبي والملك داود انا هو الذى اخطأة . انا هو الذى آثم . انا هو الذى اسا (ملوك ٢ ص ٢٤) * وسبب خطيتي انما هو خباثة قلبي لاغير *

ثم انه لايكفيك ان تتكلم في الاعتراف بتواضع فقط . بل يجب عليك ايضاً ان تصمت متضعاً * واذا ما اخذ مرشدك ان يورد لك شناعة خطيتك وعظمتها . فلا تقطع كلامه * ولاتظهر ادنى تمرمر من نصايحه * ليت شعرى لو تقدم الطبيب ليعالج جراحك . فهل كنت تعض يده باسنانك حينما يكون مباشراً مداواتك . لالعمرى * فاذاً ياللعجب يقول القديس برنردوس ويالهُ من ضلال غريب . اعني به ضلال جريح يتحلق

بسيطاً منزهاً من كل اعتذار * لكون
المعترف في هذا السر يباشر وظيفة
المشتكى لاوظيفة الشفيع * فحذار حذار
من ان تنقص عظمة خطاياك. بل اعلنها
كما هي وعلي صحتها *
واياك ثم اياك ان تشكو من القريب *
او تلقى عليه ذنبك بقولك للكاهن ان
فلاناً جذبني الي الشر بالكلام او بالمثال
الردى * لانك بهذه الاعتذارات لاتبرر
نفسك . بل انك تظهر ذنوب غيرك *
وقد يتفق للمومنين مرات كثيرة انهم في
حين الاعتراف يتلفون شان الناس
لدى معلم الاعتراف *
فتوق اذاً هذه الشاينة * واتضع معترفاً
عن نفسك انك انت سبب الخطية *

جديد *
فاذا تقدمت اليه فتصور انك ماضٍ لا الي بشر بل الي الله تعالي نفسهِ الذى ينوب عنه ذاك الكاهن * وانه قد منح منه عزّ وجل سلطانًا يحل نفسك من رباطاتٍ لايستطيع ان يحلها سوى من لهُ هذا السلطان فقط * فتقدم اذًا اليهِ كما يتقدم الرجل المذنب الاثيم الي حاكمهِ * واشرع في اعترافك باحترام واتضاع جزيل. واورد خطاياك كما هي مفصلًا * فالصفة الاولي اذًا التي يجب ان يكون اعترافك متصفًا بها هي الاتضاع * وهذا لايتوقف علي الاحترام الخارج والباطن فقط * بل علي كيفيّة الاعتراف عن خطاياك ايضًا * لانه ينبغي له ان يكون

لتلاميذ . ويضع الوسادة تحت مرفق يك
ليرقد في اثمهِ مطمانًا * او يغيرون
معلم اعترافاتهم رغبةً في الايشعر الكاهن
بسو حال سيرتهم وقدمية رذايلهم *
فان رمت اذًا ايها المومن ان تعترف
اعترافًا جيدًا . فاياك والاقتدا بهولاء
الاشقيا * بل اضرع الي الله تعالي واسالهُ
ان يمنحك مرشدًا ملايمًا لما تحتاجه *
متصفًا بهذه الثلث الصفات . وهي العلم.
والفطنة . وصلاح السيرة * واذا ما وجدتهُ
فاتبع مشوراتهِ على الدوام ولاتغيره *
وذلك لكي يستطيع ان يعرف لا امراضك
الروحية فقط . بل كيفية طبعك ايضًا *
فيمكنه ان يبري نفسك من الجراحات
الماضية ويحفظها من ورود كلوم

لنفسك مرشداً * وافعل ما يفعله انسان
يرغب صحة جسمه حينما يحتاج الي
الطبيب * قد ذكر عن لويس الحادى
عشر من ملوك فرنسا * انه اعتني في
حفظ عافيته اعتناءً مفرطاً الي هذا الحد
حتي انه ارسل فتش في كل مملكته
علي طبيب يلايم غرضه * فلما حصل
عليه عين له في كل شهر عشرة الاف
غرش * وذلك لاجل هذا الامر فقط وهو
لكي يعتني بكل ما يمكنه من الاحتراس
والاجتهاد في حفظ عافيته (انتهى) *
فوا اسفاه ما اكثر الذين لا يعتبرون
الفحص عمن يرومون الاعتراف لديه *
بل يفتكرون احياناً في ان يكون معلم
اعترافهم امّا عشيماً اومملاقاً يرخي العنان

ليمارسهما كما يجب * وهذا الامر سنسهب
فيه الكلام في كتاب اخر يدعي مرشد
الكاهن في كل وظايفهِ *
ثم لاحظ ان رداوة الكاهن وجهله في
مناولتهِ بقية الاسرار انما يضران قليلاً
جدًا اوليك الذين يقتبلونها علي يديهِ *
امّا في سر الاعتراف فلا يجرى الامر
هكذا * بل انهما يلقيان النفوس في
خطر عظيم * الخطر الذى اشار اليهِ السيد
المسيح بقولهِ . اعمى يقود اعمى فيقع
الاثنان في حفرةٍ (متي ١٥) * ومن ثمه
عوضًا عن ان يخسر الشيطان نفسًا
واحدة في الاعتراف . يربح اثنتين اعني
نفس التلميذ ونفس مرشده *
فاحسن اذًا الاحتراس قبل ان تختار

* الفصل الحادى عشر *

في بعض اعراض تلايم الاعتراف

انه اذ قد انتهى ايضاحى لك ما يجب عليك ان تفعله قبل الاعتراف * وهو فحص الضمير والندامة علي خطاياك * والقصد الثابت علي عدم الرجوع اليها * فدعني الان ان اقبض يمينك وارشدك الي منبر سر التوبة * الا ان الفطنة تقتضى منك ان تفتكر اولاً في ذاك الذى تختاره لقبول اعترافك * فاعتبر اذاً ان الكاهن في هذا السر يباشر وظيفتين. وهما وظيفة القاضى ووظيفة الطبيب * وهاتان الوظيفتان تقتضيان ضرورةً ان يكون الكاهن ذا سيرةٍ صالحة وعلمٍ كافٍ

اصلح سيرتي وارتضي بان اخسر كل
شي ولا ان اغيظك ابدًا * ولكوني
عالمًا انك لا تمدني بعونك الالهي ان لم
افرّ هاربًا من اسباب الخطيّة * فلهذا
قد عزمت الان عزمًا اكيدًا على
الفرار منها * ولكن ايها العالم بجزيل
ضعفي اعنّي بوفور انعامك * قوني تجاه
التجارب العتيدة ان تلم بي * انر عقلي
قوِّ ارادتي. لكي تستمر ثابتة فيما قصدته
الان. وهو ان ارتضي بالموت ولا
بان اغيظك بالخطية ابدًا

امين




انك وعدتني بان تقبلني كل مرةٍ اعود
اليك نادماً منسحقاً وان تغفر لي
مآثمي * فعلى هذا وحده ابني اتكالي *
ومن جرى هذا فقط اطلب المغفرة * فلا
ترفضني اذاً يارب ِ ولاتعاملني بحسب
عدلك. بل بحسب جودك ورحمتك *
لكوني قد بغضت الان خطاياى
فوق كل شيٍ وذلك حباً لك *
ومن اجل اني بها اسات اليك ياالهي
وخيري الاعظم الوحيد * حقاً انه وان
أُغلق باب جهنم. وتلاشي الفردوس.
فانني مع ذلك ابغض الخطيّة على حدٍ
سوى من اجل هذا الامر فقط. وهو لانها
تغيظك * ولذلك قد قصدت الان
وعزمت من كل قلبي على انني بنعمتك

وانها لتستحق ان ابغضها فوق كل
شي * وانني من جرى ارتكابي اياها
استحق كل العذاب السرمدي * فياليت
قلبي يبغضها الان كما يبغضها القديسون
وكما تبغضها انت ايضاً * لانني ارغب
ان اشعر بمثل هذه البغضة والندامة *
واطلب ذلك منك بقلبٍ متواضع
متخشع * فحقاً انني لست بمستحق ان
تعفو عني * غير اني انا افعل الان ما
تطلبه انت مني * جاثياً امام منبر رحمتك
معترفاً باثامي * ومن حيث انه لا يوجد
احد الّاك يستطيع ان يغفر لي . فمن ثم
التمس المسامحة من جودك الغير
المحدود * وذلك من اجل ذلك الدم
الكريم الذي هرقته لاجلي * ومن اجل

انك

عبدٍ تجاسر ان يفعل بملكهِ الارضى
ماقدً فعلته بك يا ملكى وابى وخالقى وكل
خيرى * انه لو يحسن سيّالى انسان ما
ببعض ما قد تفضلت انت بهِ عليّ لكنت
افرغ جدى وجهدى كله لاظهر لهُ حسن
معرفة الجميل وعظم الوفا * وها هو ذا قد
كافيت حسناتك بالخيانة وعاملتك كما
يعامل الانسان عدوه * فيا ايتها الخطية
الملعونة ليتني لم ارتكبكِ * ويا ايتها اللذة
المرذولة التي من اجلها تركت الهى
ينبوع حياتى الابدية. ليتني كنت اخترت
ان اكابد كل نوع من العذابات والموت
نفسه ولا ان اغيظ الهى لاجلكِ * انني
اقرّ معترفًا يا الهى امام عزتك وامام السّما
والارض انه لا يوجد شر نظير شر الخطية

استحقاقات دمك الكريم بواسطة سر
الاعتراف وسر القربان المقدس الذي به
منحتني ذاتك ماكلاً وقوتاً لنفسي *
ودعوتني الي التوبة منتظراً اياي زماناً
مستطيلاً حينما كنت تستطيع ان تحكم
عليّ بالخلود في نار جهنم * وليس ذلك
فقط بل انك افتديتني بثمنٍ غير متناهٍ
ثمن دمك الزكي * وارتضيت حباً بي
بان تصير انساناً وتكابد لاجل خلاصي
اهانات وعذابات قادحة * امّا انا الخاطي
الشقي فبدلاً عن ان اقدم الشكر
لحسناتك هذه الجزيلة المقدار. ازدريت
بمحبتك وتوطات اوامرك * وذلك امّا
رغبةً في امتلاك خيرٍ ما زمني. او في
التمتع بلذةٍ زايلة وقتية * اواه ايما

* الفصل العاشر *

* صلاة تتلى قبل الاعتراف *

ايها الاله الازلي الضابط الكل * ياذا العزة الغير المتناهية والجودة العديمة الحد * هوذا انا عبدك المارد الشقي انقدم اليك بكمال التخشع والتهيب * مقرًا بين يديك بانك خلقتني على صورتك ومثالك * ولاجلي ولخدمتي خلقت كل البرايا. وانعمت عليّ بنعم وافرة * لانك اوجدتني من والدين مسيحيين لكي افوز بنور الايمان الحقيقي * وحفظتني حتي الان وانقذتني من مخاطر عديدة روحية وجسدية * وجعلتني ابنًا لك بالذخيرة بواسطة سر المعمودية * واشركتني مرات كثيرة في

بذلك استعدادهم وفعل الندامة * من
اجل انه لاتغفر الخطايا العرضية بدون
الندامة عليها * وان كانت لاتغفر فتستقر
لامحالة في النفس وتضعف قوتها
لممارسة الفضيلة * وتشبه السوس
الذي ياكل داخل الخشب قليلاً قليلاً.
بل ان هذه الخطايا تعد النفس وتهييها
لسقطات عظيمة كقول الحكيم * من
يحتقر الصغاير يسقط قليلاً قليلاً
(ابن سيراخ ١٩)

*



هذا الخطر العظيم * وان تستعمل وسايط
اخر كمثل هذه مفيدة للخلاص *
وهذه النصايح الموردة في هذا الفصل
تلاحظ الانام الحاصلين تحت وقر الخطايا *
لا الذين يعتنون دايمًا في خلاص
نفوسهم ولا يخطئون سوى بعض خطايا
عرضية * الّا انه قد يمكن ان يستفيد
مثل هولاء ايضًا من هذه النصايح * على
انهم وان لم يكونوا ملتزمين بالفحص عن
جميع الخطايا العرضية التي فرطت منهم
ولا بالاعتراف بها كلها فردًا فردًا *
الّا انه تجب عليهم الندامة عليها وقصد
عدم ارتكابها * ولذلك اذا راوا ندامتهم
عليها ضعيفة * فليعترفوا بخطيةٍ واحدة
مميتة من اعترافاتهم المتقدمة لكي يحسنوا

الحال على الامواج الي ان وصل سالماً
الي بلاد اخرى * وقد احب الله تعالي ان
يثبت بهذه الاعجوبة فطنة هذا القديس
وصرامته المقدسة في الاعتراف *
فلنعد الي ما كنا ابتدانا بشرحه فنقول.
ان كان هو حقاً من الممتنع لديك ان
تفارق ذلك الشخص الذى صار لك سبباً
قريباً للسقوط في الخطيّة * فتلتزم قلما
يكون بان لاتنفرد معه اصلاً * والاّ
تثبت نظرك فيه * والاّ تبجن شخصه
ولا ذكره في فكرك * وان تبذل
كل ما يمكنك من الجهد في ان تنزع
من قلبك هذه الشهوة * وتضاعف
صلواتك وتتلوها بحرارةٍ ونشاط
ملتمساً من الله تعالي عوناً يحفظك في

ووبخه اولاً علي مداراته اياه وملاطفته
لهُ في حال الاعتراف * ثم قال لهُ هكذا *
انك انت هو ايها الشقي السبب الذى من
اجلهِ قد هلكت انا الي الابد * وهجم عليهِ
واعتنقه. وحالاً انفتحت الارض واظلم
المكان ولم يظهر منهما فيما بعد ولا الاثر *
ولذلك القديس ريمندوس فخر رهبنة
القديس دومينيكوس معلم اعتراف ملك
اراغونيا * لما راى ان هذا الملك لايرتضى
بان يخرج من بلاطهِ احدى النسا التي
كانت لهُ سبباً قريباً للخطية * ابى
عن حلهِ وعزم علي الهرب من بلاطهِ
ايضاً * ولان الملك كان امر جميع النوتية
بان لايقبلوه في سفنهم * فبسط رداه
على البحر وجلس عليه وسار على هذه

سيظهر فيه سبحانه بطلان هذا الحل
كقوله تعالى. اذا اتى الزمن الذى اريد
قضيت بالعدل (مزمور٧٤) *
ففي ذلك الحين سيفحص الديان المرهوب
عن تلك الحلات التي بها اذن اوليك
الكهنة لخطاة مشتهرين بان يتناولوا
الاسرار الالهية من بعد ان نهاهم تعالي
قايلاً. لاتعطوا القدس للكلاب ولا تلقوا
الجواهر للخنازير (متي٧) *
انه لمن المحقق ان جماً غفيراً من الكهنة
يتعذبون الان في جهنم لا من اجل
خطاياهم فقط. بل من اجل خطايا الغير
ايضاً التي اشتركوا فيها بحلهم الباطل *
وفي هذا الصدد قد ذكر الانبا افيلا
عن كاهن ما. انه ظهر له تلميذ بعد وفاته

ثم ان ارهب نقمات الله تعالي من هولاء
هو متي ما توفق لهم في حال اعترافهم
معلمون متراخون مترفهون يحلونهم
بسهولة * وذلك امّا لان اوليك الكهنة
هم غشما غير عارفين واجبات وظيفتهم *
امّا لكونهم نظير تلاميذهم * فمن ثمه
يعاملون الناس كما يريدون ان يُعاملوا
في حين اعترافهم * ولا جرم في ان هولاء
هم عميان قادة عميان يسقطون في
هوتة الهلاك هم وتلاميذهم معًا * لانه
ماذا يفيد المعترف قولهُ ان الكاهن حلني .
وكان هذا الحل من دون الاستعداد
للواجب * حيث انه لامحالة يكون باطلاً *
نعم ان الكاهن حلك ياهذا * الّا ان الله
تعالي لم يحلك * وسياتي الزمن الذى

سيظهر

ولا يفهم ان معني قولهِ تعالى في الانجيل المقدس. ان شككتك عينك اليمني فاقلعها والقها عنك فانه خيرلك ان يهلك احد اعضايك من ان يلقى جسدك كله في نار جهنم (متي ٥). هو كانه تعالي يقول * انه ولوكان ذلك الشخص لديك عزيزًا مفيدًا ضروريًا كحدقة عينك * الّا انه متي صارلك سببًا قريبًا لفعل الخطية * فينبغي لك حينيذٍ ان تباينه وتتباعد عنه ولومهما كان عتيدًا ان يصيبك من جرى ذلك من الحزن والعار والخسارة * لعمري انه لايمكن قلع العين بدون وجع اليم * الّا انه خيرلك ان تقلع سبب الخطيّة وتقطعه مطلقًا فتخلص. من انك تستمر فيهِ وتهلك *

الذين مع كونهم معاشرين اناسًا معاشرة
فاسدة من مدة مديدة . ياتون الى
الكاهن وهم غير قاصدين استيصال هذه
العادة * ويعترفون مطمانين غير
مضطربين * متعللين كما قال النبي بعلل
الخطايا * قايلين في ذواتهم انني استمر
ساكتًا اومشتغلًا اومترددًا مع هذا
الشخص. ولكن لابنية فعل الخطية معه.
بل بنية التنزه فقط * وان اورد له معلم
اعترافه التزامه بالفرار عن سبب الخطية
وخطرها. فيعتذر له بقوله هكذا. انه
اذا ترك معاشرة هذا الشخص يحدث
من ذلك سجس اوشك * ولايدري الغبي
في انه قد كان يزول الشك والسجس
لو يخرج ذلك الشخص او يفترق منه *

الخطية القريب. فمن لايهرب منه وهو قادر علي ذلك فانه يخطي * ومن لايعزم علي الهرب منه لاينفعه سر الاعتراف شياً اصلاً * بل انه من جري عدم عزمه علي ترك هذه الاسباب. يخطي ايضاً لاجل حبه سبب الخطية القريب *

فمن ذا الذي يتامل هذه الحقيقة المثبتة من جميع الاباء والمعلمين ولايرثي لسوء حظ اناس لايحصي عددهم * اوليك الذين مع كونهم غرقي في حماة الدنس. ومتشبثين في شرك الخطية. ولايبالون من ترك اسبابها * فمع ذلك يتقدمون الي سر الاعتراف * ومن ثمه يصيرون دوا الخلاص سماً لانفسهم *

وانما اشير هنا الي بعض مومنين اشقيا *

لانسان نادرًا. ولو اتفق له هذا السبب مرات كثيرة * مثلاً انسان عاش عامًا واحدًا مع احدى النسا في حال البرّ * الّا انه اخيرًا اتفق ان سقط معها في الخطية مرّةً واحدة * فهذا السبب نظرًا الي هذا الشخص يدعي سببًا بعيدًا * لبعد عن ان يسقطه في الخطية * غير انه يكون قريبًا اذا كان ذلك الشخص يخطى غالبًا بسببهِ بالفكر او بالقول او بالفعل *

فالوصية الالهية لاتلزم الانسان بالفرار عن سبب الخطية البعيد * الّا ان الفطنة المسيحيّة تحثه علي ذلك كثيرًا حسب مشورة الحكيم القايل من يتجنب الفخاخ يكن مطمانًا (امثال ١١) * امّا سبب

* الفصل التاسع *

في تالي ما تقدم تقرين

انه لا يكفي ان يكون القصد المذكور ملاحظًا ترك الخطيّة فقط * بل يجب ان يتصل هذا العزم الي تجنب اسبابها ومخاطرها ايضًا * امّا سبب الخطيّة فنوعان. احدهما يسمى السبب القريب. والاخر يدعي السبب البعيد * فالسبب القريب هو عرض الزمان والمكان والرفقا. هذه الاشيا التي بواسطتها يخطى الانسان غالبًا * وقد يدعي هذا السبب قريبًا من اجل انه لا يوجد بينه وبين الخطية حاجز الّاشي قليل * امّا سبب الخطيّة البعيد. فهو الذى به يخطى



العظـيم ينبغي منك اهتماما حسنا * وان كنت عاجزا عن اتقان الاستعداد الواجب عليك * فاستغث بمن يقدر ان يعينك على ذلك * واجتهد خاصةً في ان يكون عزمك على ترك الخطية الي الابد عزما حقيقيا ثابتا * لان نجاح امرك كله قايم في هذا العزم * واقول اخيرا ان اجتهادك في اتقان امرٍ يتعلق بهِ الخلاص الابدي لايمكن ان يكون متزايدا مفرطا ولو اتصلت بهِ الي

ايما حدٍ كان من

الحدود

*

المعتادين علي الخطية لايندم عليها في
الاعتراف ندامةً حقيقية الّا القليلون *
ولهذا السبب لاينحدرون الى المطهر بل
يهبطون الى جهنم * ولعمرى ان هذا
الكلام لايلاحظ الكهنة فقط * بل كل
الذين اعتادوا علي الخطية سيما خطيّة
الزنا . وتصلبوا في هذه العادة السيّية
ايضاً *
ناشدتك الله ايها الاخ العزيز الراغب
خلاص نفسك * الّا تستخف بما اروم
ان انصحك بهِ ولا تحتسبه غير ضرورى *
بل اقبله كمفتاح مقدس بهِ تفتح لنفسك
باب السّما * وهو ان تحذر من العجلة
والتلهوج حينما تعدّ نفسك لتناول
القربان المقدس * لان مثل هذا الامر

عزمًا راهنًا علي اصلاح سيرتهم * ولا يبغضون خطاياهم بغضًا واجبًا * لكنهم انما يعترفون اتباعًا للعادة واقتداة بجمهور المومنين * وعن مثل هولاء قال القديس اوغوستينوس هكذا انهم لايقطعون جرى ذنوبهم بل انما يوقفونه *

خبرنا الانبا ديونيسيوس الكرتوسي والانبا بطرس ريس دير كلوني عن راهبٍ ما تقى عابد * انه مضى بهِ ملكه الحارس الي المطهر لكى يريهِ هذا المكان * ولكون الراهب لم يرَ هناك من الكهنة الّا قليلين جدًا * فتعجب من ذلك وسال ملاكه عن السبب . فاجابه الملك قايلًا * اعلم يااخى انه من جمهور الكهنة

الاوقات الدوا الوحيد المفيد لشفا هذه
الداء *
ان الابا القديسين واعظم المعلمين قد
نسبوا هلاك اكثر المسيحيين لهذا
السبب * اى لكون الكهنة لايمسكون
الحل عن الخطاة الّا نادرًا جدًا وفي بعض
الاوقات * علي انه لمن المحقق ان
المختارين قليلون كما قال السيد المسيح
عز قوله (متي ٢٠) * فما هو سبب
هلاك الاكثرين * هل هو عدم
الاعتراف كلّا * لانه نادرًا جدًا يتفق
ان يموت المسيحي بغير اعتراف *
فليس السبب اذًا سوى هذا وهو لانهم
لايعترفون كما يجب * ولايندمون علي
خطاياهم ندامة حقيقية * ولا يعزمون

مع رجل اخر * اما كنت تحكم بان هذا دليل علي ان حزنها ذاك كان مصنعاً غير حقيقي * فهذه حال اوليك الخطاة الذين قال عنهم الحكيم يرتجعون ككلاب الي قيهم (امثال ٢٦) *

وبارتجاعهم الي الخطية من دون علامة اصلاح السيرة يقدمون للكاهن سبباً لان يشك في اعترافاتهم شكاً عظيماً *

فاذا تقدم الخاطي الي الاعتراف ولم يجد الكاهن فيهِ علامةً ما معتبرة غير مالوفة تدل علي ان ندامته حقيقية * فلا يجوز لهُ ان يصدق بسهولةٍ وعدهُ لهُ بانه سيصلح سيرته * بل الخليق بهِ ان يمتحنه مدةً ما من الزمان ويوخر عنه الحل *

ولا جرم في ان هذا العلاج يكون غالب

ومارست افعالاً اخر تضاهي هذه * فاني
اصدق وقتيذٍ ان ارتدادك الى الخطية
كان ضرباً من الضعف البشرى * ولا
اشك في ان قصدك ترك الاثم كان
حقيقياً *

وبخلاف ذلك ان وجدتك في الاعتراف
باقياً على حالك الاعتيادية * اى ترتكب
الخطية بسهولةٍ كما سلف * متوانياً في
مقاومتها كما كنت من ذى قبل على
حدٍ سوى * لا تبذل المجهود في اصلاح
سيرتك. فكيف يمكنني ان اعتقد بل
اظن في توبتك انها حقيقية * اخبرني
ماذا تقول في امراة كانت امس تنتحب
على موت بعلها وتظهر لدى الجميع
حزناً بليغاً * وها هي اليوم قد اقترنت

الدليل علي ان الارادة هي فعالة هو استعمالها الوسايط الملايمة لاتمام الامر المقصود * ولهذا نرى من يرغب شيئاً حقاً يفتكر حالاً في الوسايط التي تبلغه الي مقصوده *

لانه ان ذكرت لي في اعترافك مثلاً انك كففت عن الخطية قليلاً. ولم تسقط فيها كحسب عادتك بل نقصت من العدد. وان حققت لي انك لكي تنجو من حال شقايك ورغبةً في ان تقطع رباطات عوايدك الردية مارست بعض صيامات اكراماً لوالدة الله. وحضرت القداس الالهي في ايام السبة علي هذه النيّة * واجتهدت في قراة الكتب الروحية * واحسنت الي المساكين بصدقةٍ ما *

ومارست

اذًا كل واحدٍ من اوليك الخطاة مع الرسول هكذا. انني اقوى علي كل شي بنعمة من يقويني (فيلبيه ٤) *
الّا انه يجب عليهم ان يعتبروا هنا حقيقةً اخرى * وهى انه وان كان تقدمهم الي منبر الاعتراف وهم في حال واحدة حال عادةٍ متصلة بخطايا هى هى عينها . لايكونُ علي الاطلاق دليلًا واضحًا اكيدًا على ان قصدهم في اصلاح سيرتهم لم يكن حقيقيًا قبلًا * الّا انه يكون دليلًا عظيمًا علي ذلك * لاسيما حينما لا يظهر من الخاطى ادني اثر من اصلاح السيرة * ولا يستبين منه انه استعمل واسطةً من الوسايط المعينة والموصلة الى هذا الاصطلاح * لان

فقط . بل هو سهل ايضاً * فاذاً ينبغي
لهم أن يبنوا اتكالهم ويأسسوه لا علي
قوتهم الطبيعية بل علي قوة هذه النعمة *
وان خيل لهم انه ستحدث امور
مستصعبة جداً تصدهم عن فعل ما قد
قصدوه * فلا يجب ان يفشلوا . بل
فليلتجئوا حينيذٍ باتضاع ونشاط الي منبر
رحمة الله * ويسالوه تعالي ان يمنحهم
قوةً وعوناً في ذلك الوقت الجزيل
الخطر * وان ينزع منهم هذا التيقن الخطر
الذي من شانهِ ان يقطع رجاهم ويضعف
عزمهم ويبيد فاعليته بالكلية * لماذا نري
اناساً كثيرين يعزمون علي امور
عظيمة عسرة جداً . اليس لانهم يرجون
ان يتموها بفطنتهم ودريتهم . فليقل

الآتحطي فيما بعد * وهذا مما يخص فعل
الارادة الذي يلاحظ الزمن الحاضر *
وان سالتني عن الخطاة المتعرقلين في
فخاخ الدنس منذ صباهم * الذين يظنون
باطلاً في نفوسهم انه من الممتنع عليهم
ان لايرتجعوا الي خطيتهم * كيف يمكنهم
مع تيقنهم هذا الباطل ان يقصدوا
اصلاح سيرتهم قصداً ثابتاً ضرورياً
للاعتراف * وهل يصدق انهم يريدون
بارادة ثابتة فعالة ما يظنون به انه غير
مستطاع لهم *
فاجيبك عن ذلك قايلاً ان مثل هولاء
يلزمهم ان يعتقدوا هذا * وهو ان
الذي لايمكن نظراً الي القوة الطبيعية.
ليس انه مستطاع بقوة النعمة الالهية

قوية فعالة * ارادة تشبه ارادتك في
انك لاتشرب في كاس مسمومة * وان
لاتطرح نفسك من علي قمة برج عال
الي اسفل * او كارادة جندي باسل
شجيع قد قصد الّا يهرب من ميدان
المعركة ولو اوشك ان يموت فيها *
فاذًا ينبغي لك ان تقصد الّا ترتكب
خطيّةً ما مميتة لاجل اكتساب ايما
خيرٍ كان من الخيرات . اولاجل النجاة
من ايتما بليةٍ كانت *
ثم لاحظ هنا هذا الامر * وهو انك لست
بمحتاج في مثل هذا المحل ان تعتقد
يقينًا وتتحقق انك لم تعد تخطي فيما بعد *
لان هذا امرٌ يخص فعل الفهم وهو
متعلق بالمستقبل * بل يكفيك ان تقصد

قال شاول الملك ويهوذا الدافع * الآن
الامر الجوهري الذى يتوقف عليه نيلك
الغفران هو هذا . وهو ان تعزم عزماً
حقيقياً راهناً على تغيير سيرتك
واصلاحها * فالبعض من الناس يقولون
هكذا . انني ساصلح سيرتى اذا امكنني
ذلك * وغيرهم يقول مرادى ان اتوب *
فهذا كله لايفيدك شيأ اصلاً *
لانه لايكفيك ان تقول بفمك مرادى
ان اتوب * بل يلزمك ان تقول من
كل قلبك انني اريد ان اتوب * لان
اشتهاك ان تتوب هو غير كافٍ * وانما
هو اشتها الجاهل الذى قال عنه الحكيم
ان الكسلان يريد ولا يريد (امثال ١٣) *
بل يجب عليك ان تريد ارادةً اكيدة

عن جميع خطاياى * نعم ان لي زمانًا
مديدًا اعاشر اناسًا معاشرة ردية. غير انى
لا ازال اعترف عن ذلك * وهكذا يظنون
بانفسهم انهم قد تطهروا من اثامهم *
والحال ان الامر ليس هو كما يزعمون *
وذلك لانهم في حين اعترافاتهم لم يقصدوا
اصلاح شرور سيرتهم قصدًا حقيقيًا
اكيدًا * فياليتنا كنا نستطيع ان
نطلع الان على دفاتر العدل الالهى التي
ستفتتح في يوم الدينونة العامة * لعمرى
انه لوكان يتوفق لنا ذلك. لكنا نجد
فيها من الاعترافات الفاسدة الباطلة ما
لا تعداد له *
انه اسرهين قولك للكاهن في الاعتراف
انني قد اخطات ياابانا * لانه هكذا قد

المخصص بالارادة *
وهذا القصد لابد من وجوده في الندامة الكاملة والغير الكاملة * وفيه قايمة الصعوبة العظمى التي هى الطريق الضيق الذى يجب ان تجتاز الناس منه لكى تتجه الي الله تعالي * فياما اكثر الذين يفشلون وهم في هذا المدخل * وينكفئون عن طريق الخلاص متقهقرين وكم وكم هم اوليك الذين لاجل عدم هذا القصد يعترفون اعترافاً باطلاً نفاقياً فيزدادون فساداً * فعن مثل هولاء قد قال الروح القدس . انه لجيل يظن بنفسه انه نقى ولم يتطهر من نجاساته (امثال ٣٠) * فترى كلاً منهم يقول مطمانا . الحمد لله انني قد اعترفت

عن ذلك انفاً فلذلك لانطيل فيه الشرح
بل ناخذ ببيان ما بقي علينا ايراده وهو
الشرط الثاني الضروري للندامة الجيدة
المقبولة عند الله *

فاعلم انه لا يكفي ان تكون الندامة
فايقة علي الطبيعة فقط * بل ينبغي لها
ان تكون فاعلة ايضاً. اى ان تفصل
القلب وتميزه من الخطية * وتصيره لا ان
يبغض ما ارتكبه قبلاً من الخطايا فقط. بل
ان يعزم ايضاً عزماً متيناً على عدم
الرجوع اليها * وقد ينبغي ان يكون هذا
القصد صورياً صريحاً حسبما ذهب
العلما بالراى الاوفر ثباتاً * من حيث
ان احدى غايات الندامة الاخص هي
اصلاح سيرة الخاطي بواسطة هذا القصد

المخصص

ان تكون فايقة علي الطبيعة * وذلك
نظرًا الي المحرك * اى نظرًا الى المحبة
الصادرة منها تلك الندامة * ونظرًا الي
عون النعمة الضرورى سعيها في فعل
الندامة * لان كل ندامة لاتتضمن هاتين
الصفتين هى ندامة بشرية محضة *
وبالنتيجة ندامة قليلة الثمن * لان
الذى يندم مثلاً علي خطية زنا قد ارتكبها
وذلك لاجل ما حصل له ولاهل بيته من
الخجل والعار * فندامته هذه ليست هى
ذات ثمن ولا تستحق اجرًا عند الله
تعالي * بل تشبه الدراهم الزايفة *
وتشبه ايضًا ندامة انتيوخس الملك
التي رذلها الله حسبما سطر في الكتاب
المقدس (مكابيين ٢ ص ٩) * وقد تكلمنا

* الفصل الثامن *

في وجوب قصد الخاطى التايب لاصلاح سيرته *

انه من عادة الصيرفي اذا ما قبض مبلغاً من الدراهم ان لايقتبلها بعيونٍ مغضوضة * بل انه يفحص عنها باجتهاد ملاحظاً ليلا تكون تلك الدراهم ناقصة اوغير خالصة * فهذا هوما يفعله العدل الالهي * اذ انه عزّ اسمه لايقبل من دون الفحص ندامتنا التي بها فقط نقدر ان نفي ديننا بحسب مقدرتنا * بل انه تعالي يميزها جيداً ليلا تكون ناقصة وغير حقيقيّة * والحال انه لكى تكون ندامتنا صحيحة مقبولة عند الله * لابد لها من

المسكينة الملتمسة منك العفو بكل
تذلل وخضوع . من اجل استحقاق
ذلك الدم الكريم الذى هراقته لاجل
خلاصى الي اخر نقطة * ثم انى اعاهدك
يا الهى انني بنعمتك اجتنب كل اسباب
الخطية * واعترف بذنوبى سريعًا بلا
تاخير وابطا * وارتضى بالموت ولا
بان اغيط عزتك الالهية فيما بعد *
فامنحني اللهم تاييدًا على
اتمام ذلك

امين

*

اذاً اقولهُ الان وما الذى افعله سوى انى
اجثو امام عزتك يا الهى بقلب منسحق
على ما فرط مني من الخطايا والذنوب في
هذا النهار وفي كل حياتي الماضية *
وانني ابغضها حقاً اكثر من كل شر
وذلك لاجل هذا السبب فقط وهو لانك
صالح ومستحق كل محبة * ولانك انت
الجودة الغير المتناهية * فياليتني لم اكن
ارتكبت هذه الخطايا ولم اكن اغظتك
ابداً * غير انى قد قصدت الان قصداً
حقيقياً اكيداً انني بنعمتك لا اعود
اليها رغبةً في شي ما من كل ما يوجد في
العالم * وانني افضل دايماً مجدك
وارادتك على كل شي * فاغفر لي اذاً
يا ايها الاله الرؤوف * وعامل بالرحمة نفسي

كاصٍ فيجدك غير مستعد • ويخطف
منك جميع الخيرات الزمنية والابدية من
غير ان تستطيع ان تقاومه *

صلوة

يحسن بكل مسيحي ان يتلوها قبل
* رقاده *

يا الهي وخالقي ومخلصي * يا اله قلبي وخيري
الوحيد * انه لقد انتهى نهاري هذا ولا
اعلم كم مقدار ما بقي لي من مدة حياتي *
الّا انني اعرف هذا الامر الذي لا يشوبه
ريب اصلاً • وهو انني لا ازال اتقدم في
كل دقيقةٍ نحو الموت واقترب منه *
ومع ذلك لم اتب على خطاياي * بل اني
اضاعف تعدادها كل يوم * وهذا هو
الذي يوعب نفسي مرارةً * فما الذي

لديهِ فعل هذه الندامة لا الواسطة
الافضل والاوفر امناً فقط. بل الواسطة
الوحيدة الفريدة لنيل الخلاص *
فان كان ذلك كذلك. فكيف يقدر
ذاك الذى لم يكن مارس فعل الندامة
الكاملة في كل مدة حياتهِ. ان يمارسها
في ساعة موتهِ * فمن اجل ذلك اشير
عليك ايها الحبيب . ان تجثو في كل ليلة
امام ايقونة سيدنا يسوع المسيح المصلوب
لكى تتردد قليلاً مع من هو عتيد ان
يدينك و يسجل عليك قضا الخلاص او
الهلاك الابدى * وافحص ضميرك ولو
قليلاً من الزمن * ثم اندم على اثامك
بحسب النوع الاتى ايراده . او على نوعٍ
اخر نظيره * ليلا يفاجيك الموت بغتة

كلص

طلب الخير الذاتي * اعني الحج المتحقق من
صلاح الله وعزته وبقية كمالاته المستحقة
كل محبتنا * لانه من اين تعلم ان كان
خلاصك الابدي ليس هو بمتعلق بفعل
هذه الندامة الكاملة * وانك ربما تلتزم
بممارستها قبل وفاتك *
وقد ذهب معلمون كثيرون الي ان كل
مسيحي يلتزم في ساعة وفاته بان يجتهد
اجتهادًا كليًا في ان يمارس فعل هذه
الندامة الكاملة * وذلك من حيث انه
يلتزم ان يجعل خلاصه في امان
بالواسطة الافضل امنًا ان كان لا يجد
سواها * ولعمري ان هذا شي واضح
بينا في كل اعتراض * ولمن المحقق ايضًا
ان من لا يجد كاهنًا في ساعة موته يكن

فاعلم ان هلاكك الابدى يكون ثابتًا
موكدًا * ولا يوجد ما بين هذين
الحدين شي متوسط * لانه لابد من احد
هذين الامرين وهما الماء او النار * اعني
التوبة او جهنم حسب كلام الحكيم القايل
ان الله جعل امامك الماء والنار فامدد
يدك الي ايتهما شيت (ابن سيراخ ١٥) *
وفي طاقتك ان تختار احداهما * اى امّا
انك تتنهد مع التايبين مدة ما. وامّا انك
تحترق مع الهالكين الي الابد *
وقد توجد واسطة اخرى تسهل لك
الندامة في سر الاعتراف * وهي ان
تمرّن نفسك على ممارسة افعال الندامة
في كل يوم مرات كثيرة * محثًا قلبك
عليها بواسطة الحجج الاولي المنزهة عن

عددها نجوم السما واوراق الاشجار
وحبوب الرمل * وبعد ذلك التفت نحو
جسدك الراغب الان التنعم وقل لهُ مع
النبي هكذا. هل يمكنك ان تسكن في
وسط نار اكلة. وان تلبث في مواقيد
ابدية (اشعيا ٣٣) * وكيف تكون حالك
في هذه النار انت الذى ان الجاتك
الضرورة بالرقاد علي فراشٍ لين مدة سنة
واحدة من دون ان تنقلب من جانب
الي اخر كليًا. ولا تتحرك ولا حركة
واحدة. لاحتسبت ذلك عذابًا لايطاق *
فيا ايتها الابدية ما اشد مرارة عذاباتكِ *
والحال انك ياخي بعد ارتكاب الخطيّة
ليس لك واسطة لتنجو من هذه الابدية
المولمة الّا بالندامة * فان ابيت عنها

التي بها قابلت احسانات الله تعالي وانعامه * فتعجب حينيذ منذ هلاّ من كون الخلايق كلها لم تنهض عليك لتنتقم منك انت الذى احتقرت خالقها وربها بهذا المقدار *

وان كانت هذه الحجج غير كافية لان تلين صلابة قلبك وتحركه الي الندامة من اجل انك لا تفهمها جيداً * ومن ثم لا توثر فيك حقيقتها كما يجب * فانحدر بالعقل الي جهنم وتفرس تلك النيران الهايلة التي اضرمتها بالخطيّة * احدق بناظرك العقليّ الي هذا السجن العميق المدلهم المنتن الموعب كبريتاً وقيراً ملتهباً * حيث يتعذب الهالكون في كل حواسهم الي ابد الابدين * اعني مدة دهور يفوق

ايضاً البلايا التي قد انقذك منها بسفك
دمهِ الزكي * لانه من كونك اسير الشيطان
صيرك ابناً لله بالذخيرة * ومنحك ذاته
في سر القربان المقدس * وقد فعل هذه
كلها بمحبةٍ مترايدة الى هذا الحد.
حتي ان كل الاتعاب والاوجاع التي
التزم ان يكابدها من اجل خلاصك
وجدها خفيفة سهلة عذبة * مع ان حال
اسرك وشقايك وهلاكك وخلاصك
لا يجديهِ خيراً ولا شراً *
ثم قابل كل هذه الحسنات الغير المتناهية
عدداً وجلالاً مع ما كافيتها بهِ من
الشر * ولاحظ ايضاً عدد خطاياك
وعظمتها * فتجد انه بالحقيقة ما من احد
عامل انساناً بخيانةٍ تضاهي خيانتك

اعني بها خيرات النعمة التي حزتها من كرمهِ * لانه جلت خيريته قد صيرك مسيحيًا * ومنحك اسراره المقدسة مرات كثيرة * تذكر كم من مرةٍ انتظرك صابرًا عليك لكي تتوب. وذلك في الوقت الذي كان يزج في جهنم الوفًا وربوات من الانام الاقل شرًا منك * كم من مرةٍ اتبعك حينما كنت هاربًا منه * وكيف انه جلت رحمته لايزال الان قارعًا باب قلبك بالهاماتهِ *

اعتبر ايضًا احسان التجسد الالهي وكم من الاتعاب والاوجاع قد كابد ابن الله تعالى حبًا بك ولاجل خلاصك * فتامل اذًا انه جعلك وارث استحقاقاتهِ ومجدهِ الابدي * لاحظ ما اكثر بل ما اعظم

يخرجك من حيز العدم الي الوجود •
مفضلاً اياك علي كثيرين قد اهملهم في
هوتة ذلك العدم * وانه فيما بعد تمم
عزمه فنحك جسداً مع كل قواه •
ونفساً مع جميع صفاتها * ثم انه اعالك
حتي الان وامر كل الخلايق ان تخدمك
في وقت الضرورة والتنزه ايضاً * واعتبر
مع ذلك كثرة الناس الحاصلين علي
حال الامراض والبلايا التي قد خلصك
منها * افتكر ايضاً في انه تعالي اقام
احد مليكته لمرافقتك وصيانتك *
وانعم عليك بحسنات اخر جليلة لاتعداد
لها *
ثم زد علي هذه الخيرات الطبيعية كلها
خيرات اخر تفوقها فوقاً غير متناهٍ *

وانك تجاهه لاصغر من حبة رمل تجاه السماوات * قال اشعيا النبي جميع الامم هم كلاشي امام الله (اشعيا ٤٠) * فماذا اذاً انت امام عزته * وكيف تجاسرت بوقاحة غير محتملة ان تقاومها * علي ان الانسان يفعل الخطية كما قيل في سفر ايوب البار . يرفع يده علي الله محارباً اياه بالمصافة رافعاً عنقه بتكبر (ايوب ١٥) *

ثم انه يفيدك ايضاً لاصدار الندامة ان تقابل حسنات الله اليك مع كثرة خطاياك * غير انه يجب عليك ان تتامل هذا متانياً * وهو ان الله نظر اليك منذ الازل واحبك لا من اجل استحقاقك بل بحركة رحمة محضة * وعزم علي ان

يخرجك

بهن الحقيقة قد تجاسرت علي ان تخطي
كانه تعالي لايشاهدك * اوكانه تعالي
عاجز عن الانتقام منك *
اعتبر ايضاً عناية الله تعالي التي لاتبرح
مهتمةً في احتياجاتك * منعمةً عليك
بخيرات متعددة * واعلم ان هذى هى
العناية التي استخدمتها انت في شرورك
والزمتها بان تعول بشخصك عبداً مارداً
شريراً *
اعتبر ايضاً قدرته الضابطة الكل .
الحافظة اياك من كل شر * وتيقن انها
هى التي الزمتها انت بان تسعف معضك
انساناً خاينا لها. بالشي الذى به كان
يخونها ويحتقرها *
اعتبر اخيراً كون الله تعالي غير ممسوح *

عليهِ تعالي الان في جهنم . لكان حالاً
يستحيل غضبهم الى محبةٍ وتجاديفهم
الي تسابيح * ثم امعن النظر في حال
نفسك * فلا جرمَ انك ان امعنت النظر
فيها حسناً تلتحف بشعار الخزى
والخجل * وذلك من اجل انك ما احببت
هذا الجود المستحق كل محبةٍ * وما
احترمت هذا البها العجيب * بل ازدريت
بهما واحتقرتهما وقاومت ارادته تعالي لكى
تتبع هوى نفسك الشرير *
ثم اعتبر حكمة الله الغير المحدودة التي
بها يرى كل شي ويعرفه * وتذكر انه
جلت عزته كان ناظراً اليك حينما كنت
تتمرد عليه وتغيظه بالخطية المبغوضة
منه بغضاً غير مدرك * ومع كونك عالماً

الواسطة الثانية التي تعين الخاطى على
بلوغ الندامة هى استعمال الاعتبارات
الاتى ذكرها * الآن انه ينبغي لك ان
تعلم انه بواسطة هذه الاعتبارات المختلفة
يجب عليك ان تقتدى بموسي النبي
الذى ضرب الصخرة الصلدة فجرت
المياه * اى ان تضرب بها قلبك الصخرى
لكى تجرى منه مياه الدموع *
فاعتبر اذاً اقبل كل شي جودة الله تعالي
التي لو كان الامر مستطاعاً . لكان ينبغى
لنا ان نحبها حباً غير متناهٍ * وبعد
ذلك اعتبر جلال بهايهِ . الذى من يعاينه
يحبه اكثر من حبهِ لنفسهِ الوف الوف
وربوات ربوات مرات * حتي انه لو
يظهر الله سنا جمالهِ للشياطين المجدفين

الله جلت جودته يمنحنا بسرور ما نطلبه منه * ولكن لا من اجل استحقاقنا. بل من اجل صلاحه ووعده لنا واستحقاق موت ابنه الوحيد * ولهذا قال عز قوله. ان صرخ الي احد فاستجيب له لاني رحوم (خروج ٢٢) *

وهذه الواسطة اعني بها الصلوة ليست هي جزيلة القوة والفاعلية فقط * بل انها نظرًا الى بعض انفار هي الواسطة الوحيدة للخلاص * اذ انه قد يوجد اناس متصلبة قلوبهم في الخطية تصلبًا شديدًا هذا حده. حتي انهم ان اهملوا الصلوة ولم يطلبوا من الله تعالي بنشاط ان يلين قلوبهم. يخشي عليهم جدًا جدًا الّا يتوبوا ابدًا توبة حقيقية *

الواسطة الاولي هي ان نطلب هذه
الندامة من الله تعالي بتواضع جزيل *
لان هذه الموهبة هي عظيمة بهذا
المقدار. حتي انه لما ينقل الله تعالي رجلاً
خاطياً من حال شقا الخطية الي حال
النعمة * يفعل سبحانه شياً اعجب من
اخراجه العالم كله من العدم الي
الوجود *
ولقد يجب عليك ان تعتبر هذا الامر
جيداً. وهو ان الله تعالي قد وعدنا بانه
يستجيبنا كل مرةٍ نطلب منه بالتقوى
والمواظبة ما نحتاج اليهِ لبلوغ الخلاص *
فالتجي اذاً اليهِ سبحانه بكمال الاتكال
والطمانينة * راجياً انك تنال مطلوبك
ولو كنت خالياً مما يستحق ذلك * لان

* الفصل السابع *
في الوسايط المعينة لاصدار
* الندامة *

ان الذين يرسمون صورًا لينتفع منها النوتية في سفرهم بالبحر. لايكتفون في ان يرسموا المين فقط . بل يعينون الرياح المبلغة الي تلك المين * فعلى هذا النوع يكون تعليمنا ناقصًا ان كنا بعد ايرادنا ضرورة الندامة لانصف الوسايط المعينة على اكتسابها * ولانعين الريح السعيدة المبلغة الي هذا الميناء الخلاصي * فها هوذا نحن نشرع الان بايضاح هذه الوسايط المقدسة وهي ثلث وسايط *

القوى لاسيما القوة الباصرة * فيا ايتها
الخطية حقا انكِ انتِ هذه الافعى
المسمومة التي تضر الانسان من بعد
شفايه من لدغها ضررًا يأثر في نظره علي
الخصوص * لانكِ لانه عينهم ان يتاملوا
هذه الحقايق ويعتقدوها * بل هي لديهم
كانها باطلة ليست بمثبوتة في غاية
التثبيت * فعن هولاء الخطاة قيل في
سفر ايوب الصديق . انهم في النهار
يلتحفون بالظلمة . وفي الظهر نفسه
كانه وقت الليل يتجسسون
في سيرهم
(ايوب ٥)

*

الممنوح لها من الله * لقد كانت انتصرت
وظفرت لو تنال عونًا وافرًا *
فحسنًا اذًا ينصحنا الروح القدس على
فم الحكيم قايلًا * لاتكن بلا خوف من
اجل الخطية المغفورة لك (ابن سيراخ ٥)
لانه وان كانت الخطية قد غفرت لك
نظرًا الي الاسية بواسطة سر الاعتراف *
الّا ان عدم نيل النعم الالهية اوتنقيصها
هما شر عظيم مخيف قد هلك ويهلك من
اجله الي الابد اناس لايحصى عددهم *
فقد قالت ايمة الاطبا. ان لدغ الافعى هو
جزيل الخطر * ولعمرى ان قولهم صايب
جدًا * لكون الانسان وان استطاع ان
ينجو من سم تلك اللدغة بتناوله ادوية
كثيرة * الّا انه يستمر على الدوام ضعيف

الكتاب المقدس ان الملك عفا عن
خطيئتهِ * الّا انه لم يرتضِ بان يلج هذا
الابن بلاطه ويحظى بمشاهدتهِ * ولم يقمه
علي الوظايف الشريفة التي قد كان اقامه
عليها لولا اثمه الشنيع *

ارايت كيف ان هلاكنا الابدى هو
متعلق بهذا التاديب المريع . اعني بهِ
مسك الله انعامه الوافرة عنا * ثم اعلم
انه كما ان السفينة التي في حين هيجان
البحر تعجز عن مقاومة الامواج من اجل
انه لا يوجد داخلها سوى مقاذيف قليلة *
ولو تكون كثيرة لكانت تلك السفينة
بلغت الي المينا سالمة * هكذا هذه
النفس الشقيّة التي عجزت عن مقاومة
تجاريب الشيطان مع العون القليل

سبحانه وان كان يعطى كل احد مقدارًا
كافيًا من النعمة ليستطيع بها ان
يظفر بكل صعوبات الخلاص * الآ انه
لا يمنح الكل مقدارًا وافرًا من تلك النعم
التي بها يستطيع الانسان ان ينتصر
بسهولةٍ علي موانع الخلاص *
فهذا الوفور والاحسان الخاص . هو
الذى يستطيع الله تعالي ان يمسكه عنك
بكل عدلٍ قصاصًا عن خطاياك
السالفة * هذى هى النعم والبركات
الخصوصية الوافرة التي قد كان تعالي
تفضل بها عليك . لولم تغظ صلاصه بكثرة
اثامك * ولكى تفهم يسيرًا هذا التدبير
الالهى . فاعتبر ما قد صنع داود بابيشالوم
ابنه بعد قتلهِ حمنون اخاه * فيذكر

شانه عزّ وجل ان يمنحها مجاناً * تلك
التي لانستحقها نحن ولاوعدنا الله بها *
غير انه تعالى يمنّ بها بسخا جزيل علي من
يشا بحسب مشورة ارادته الالهية *
ولكي نوضح ذلك ببيان اوفر نقول * انه
لمن المحقق ان كل قوى اختيارنا ليست
هي بذاتها كافية لابراز فعل ما نستحق
به اجراً ابدياً * بل اننا عاجزون
بالكليّة عن ابراز فكرٍ ما جيد من
دون النعمة الالهيّة حسب التعليم
الرسولي (قرنتيه ثانية ٣) * والحال ان
الله تعالي لايهب هذه النعم على حدٍّ
سوى * لان بعضاً ينالون منها شياً
يسيراً * والبعض يكال لهم بكيلٍ مملو *
والبعض بكيلٍ فايضٍ متوافر * على انه

سبحانه

لاتزال مضطرمة بلهيب الزنا الي ان
تعود ترابًا ورمادًا * ولا ريب في انهم
يموتون ويدفنون مع رذايلهم كقوله
التالي * ورذايلهم ترافقهم الي تراب
القبر *
ثم انه ماعدا هذين الشرين اعني بهما شر
العذاب وشر الملكة اللازمين للخاطي
بعد الاعتراف والنجاة من الخطية * فلقد
يبقي شي اخر ارهب من كل ماذكرناه
وهو التاديب الذي به يقاصص الله
الخاطي بعد اعترافه * لانه قد يتفق مرات
كثيرة انه تعالي يمسك انعامه عن
الانسان قصاصًا عن خطاياه وان كان
قد غفرها له في سر الاعتراف * وتلك
الانعام التي يمسكها عنه هي التي من

من ذوى الشيخوخة تضطرم في لحمهم
النار الشهوانية التي يستبين في الخارج
انها قد انطفت ببرودة هرمهم * ولعمرى
ان مثل هولاء يشبهون الجبال التي
تقذف من جوفها نارًا ملتهبة. مع ان
الثلج يكون متفاقمًا علي روسها * هكذا
هولاء الشيوخ فتكون لحاهم قد استحالت
الي بياض الثلج وهم في الداخل مفعمون
من نار الزنا التي تحرقهم * ولكن ما الذى
يربي فيهم هذه النار * فاسمع ما يجيبنا
عن ذلك الكتاب الالهي في سفر ايوب
قايلاً. ان عظامهم قد امتلات من رذايل
صبايهم (ايوب ٢) * نعم ان عظامهم
كعظامٍ يابسة جافة * الّا انها ممتلية
بعد من قيرِ الشهوة النجسة * ومن ثمه

اشير هنا بالوثاقات في الملكة الردية
التي هي اعظم موانع الخلاص. من اجل
انها تنتقل رويدًا رويدًا الي ان تعود
في الخاطي كانها امر طبيعي ولا يشعر
بذلك * وتجعل الانسان ان يستصعب
فعل الخير وممارسة الفضيلة بمقدار ما
يستصعب المسير ذلك الانسان الموثوق
الارجل * وهذا هو السبب الذي من اجله
يوجد اناس كثيرون يحملون في ذواتهم
شرور شبوبيتهم وفواحشها * وتستمر
معهم حتي القبر * ويخالون بنفوسهم انه
لمن الممتنع عليهم ان يدفعوها وينزعوها
من قلوبهم * وهكذا يختبرون في
ذلك الحين عظم تاصلها وتعمقها في
بواطنهم * حتي اننا نري احيانًا البعض

من

القديسون عن بعض انفس انها تتعذب
في المطهر الي يوم الدينونة العامة * فهلم
اذًا الان وتاملوا هذا ايها الجهال
القايلون اننا فيما بعد نعترف * كانكم
بعد فعل الخطية لا تلتزمون سوى
بالاعتراف فقط * ولا يلتحق بكم عذاب ما
وشر ما اصلًا *
ثانيًا يبقى في الخاطي بعد الاعتراف شر
الملكة الردية التي لا يبيدها سر الاعتراف
بالكلية لاجل ضعف الندامة * فلعازر
قد قام من القبر حقًا . الّا انه قام بايدى
وارجل موثوقة * فعلى هذا النسق يكون
قيام كثيرين من موت الخطية الي حيوة
النعمة بواسطة سر الاعتراف * اى انهم
يقومون موثوقي الارجل والايدى * وانما

اعني الخاطى وان كان بالاعتراف ينجو من الهلاك المويد * الّا انه يبقى ملتزمًا بالوفا الزمني * وذلك امّا في هذه الحيوة بواسطة افعال الندامة الوفايية . وامّا بعد الموت بواسطة النار المطهرية * تلك التي لايوجد بينها وبين نار جهنم فرق ماسوى الديمومة * تلك النار التي افراط شدتها عظيم بهذا المقدار . حتي ان القديس انطونينوس اخبرنا عن رجلٍ ما انه بعد ان مكث في هذه النار ساعةً واحدة . ظن بنفسهِ انه حاصل هناك مدة سنين عديدة * امّا مدة هذا العذاب المطهرى وان كانت ليست بابدية . الّا انها احيانًا قد تكون مستطيلة جدًا * حتي انه قد اخبرنا

انه وان زالت الحمى عن العليل. فمع
ذلك لايزول عنه ضعف القوى والتكن
من الاكل وعدم الرقاد. بل ان هذه
المسببات المحزنة تستمر في ذلك المريض
كفضلات الحمى التي عبرت وجازت *
وتجعل الانسان مابين حدين مختلفين
اعني بهما المرض والصحة * فهكذا
يجرى الامر في الخاطى بعد الاعتراف *
لانه بعد ذلك تستقر فيه فضلات ردية
صادرة من الخطية التي بادت وتلاشت
بواسطة الاعتراف النقي *
لانه بعد الاعتراف بالخطية يستمر الانسان
في حال شرين خصوصيين وهما شر
العذاب الزمني وشر الملكة الردية *
فاولاً يستمر ملتزماً بعقاب زمني * لانه

هذا الزمن الذى تقولون انكم تعترفون فيه * وان اعطيتم هذا الزمان فمن هو الذى يضمن لكم انكم تعترفون اعترافًا جيدًا * ترى ايما انسانٍ عاقلٍ فطن يشرب سمًا مطمانًا بنفسهِ لقولهِ انني ساشرب بعد ذلك ترياقًا يدفع هذا السم * او يجرح نفسه قايلاً ان لي بلسمًا يشفى الكلوم بسهولةٍ *

فلنتقدمن ايضًا الى ما قدام ثم نسالهم قايلين. اننا قد سلمنا انكم تجدون زمانًا للاعتراف . وانكم تعترفون اعترافًا جيدًا. الّا انكم ربما لاتعلمون هذا الامر . وهو ان الاعتراف الجيد لايدفع غالبًا كل الشر المسبب من الخطية * فقد تحقق بما نختبره كل يومٍ .

اعترافاً جيداً ان يورد خطاياه للكاهن * على انهم لو كانوا عارفين بضرورة الندامة لكان ضرباً من الغباوة قول ذلك الانسان عن نفسه انى افعل هذه الخطية ثم اعترف عنها * لانه بكلامه هذا يماثل من يقول انى افعل هذه الخطية ثم اندم علي افتعالها * والحال انه لا يوجد احد يصنع شياً بقصد ان يندم عليه فيما بعد الاّ من كان ساهياً غبياً * سيما اذا كانت اللذة الناتجة من الفعل سريعة الزوال . والندامة عليها عتيدة ان تستمر مدة الحيوة كلها *

تامل لي تفاقم جهل هولاء الاشقيا القايلين اننا نخطى الان ثم نعترف عن ذلك * فانا اسالهم قايلاً من هو الذى قد كفل لكم

فليت شعري كيف يمكن ان السرور
الملكي يستحيل بغتةً الى حزن وندامة *
كيف يستطيع هولاء ان يستقبحوا
ما قد كانوا قبل ذلك بدقيقةٍ واحدة
يفتخرون فيهِ مبتهجين *
وهكذا القوم الاخرون اى الذين
اذا ما عزموا علي فعل الخطية يطمانون
بنفوسهم قايلاً كل منهم في باطنهِ اني
ساعترف عن ذلك وهذا يكفيني * فانهم
ايضاً يخشي عليهم جداً من ان يكونوا
في حين الاعتراف غير نادمين الندامة
الضرورية للسر * حيث انهم بقولهم هذا
يظهرون علانيةً انهم غير عارفين
ضرورة الندامة * بل انهم يعتقدون
انه يكفي للانسان الراغب ان يعترف

اعترافاً

بل انهم مع ذلك يتباهون بها متعظمين
ومثل هولاء هم عميان واغبيا حقا *
لانهم يستبشرون متبجحين بما سيملاء
وجوههم خزيا في يوم الدينونة * يوما
يطلبون ان تقع الجبال علي روسهم
وتغطيهم (رو يا ٦) *
فلنعد الان الي ما كنا في صدده فنقول
عن الذين يفتخرون بخطاياهم * انه
ما عدا انهم بذلك يرتكبون خطية
عظيمة * فان افتخارهم هذا يدل دلالة
واضحة علي انهم في حين الاعتراف لا
يندمون الندامة الضرورية للتوبة *
وعنهم قال الحكيم انهم يصنعون الشر
ضاحكين. ويسرون في الفعل الردى وفي
الامور القبيحة يستبشرون (امثال ٦) *

وهذا الذى قلناه عن ضرورة الندامة واقسامها * يجب على بعض انفار بالخصوص ان يعتبروه اعتبارًا جيدًا * وهم اولاً الذين يفتخرون بخطاياهم * ثانيًا الذين يرتكبون الاثم بسهولةٍ بحجة انهم سيعترفون عن ذلك * وهولاء هم الذين قد قال عنهم الروح القدس بفم الحكيم هكذا * المنافق اذا ما انتهى الي قعر الخطايا لايبالي (امثال ١٨) * علي ان الخاطى اذا ما اتصل الي عمق الشر لايبالي من الخطية * بل يستخف بها محتسبًا اياها شرًا خفيفًا طفيفًا * وقد يوجد اناس يتهورون في العمق اكثر من ذلك. لانهم لايكتفون في ان يستخفوا بالخطية ولا يبالوا منها *

بل

قصاصاً عن جريرتهِ. وبالنتيجة لا يندم
الّا لسبب خيرٍ ذاتي * فمما تقدم ايراده
انتج ان الحج التي تحرك النفس الي هذه
الندامة هي ثلث *
الحجة الاولي هي الخوف من جهنم ومن
العذابات الابدية المعدة للخطاة *
الحجة الثانية هي رجا الفردوس والاجر
الابدى المعد للصديقين *
الحجة الثالثة هي عظم قبح شناعة الخطية
المعتلن لنا بنور الايمان * لان هذا
الاعتلان هو الشي الذى بهِ تكون الندامة
ندامة فايقة الطبيعة *
امّا الندامة الكاملة. فليس لها سوى
سبب واحد وهو الجودة الالهية المهانة
بالخطية لا غير *

الطبيعة . تعد الانسان لاقتبال النعمة
بواسطة سر الاعتراف الذى بدونه
لاتستطيع هذه الندامة ان تبرر الخاطى *
وهذا التعليم قد اكده المجمع التريدنتي
في الفصل الرابع من الجلسة الرابعة
عشرة * فاذًا المحبة المحركة للنفس هي
التي تميزها تين الندامتين بعضهما من
بعض * كما ان المحبة المحركة النفس هي
التي تميز ندامة الابن من ندامة العبد *
لان الابن يندم على انه اغاظ اباه . ولا
يفتكر في انه خسر الوراثة الابوية .
وبالنتيجة يندم بمجرد حركة المحبة * امّا
العبد فبعكس ذلك . لانه يندم على
اسائته بحق سيده خوفًا من ان يخرجه
من منزله . او ان يمسك عنه اجرته

السّماوى مفتوحة. لم تكن ندامته اقل عظمة * بل كان يقول مع الملك والنبي داود هكذا. اليك وحدك يارب قد اخطات (مزمور ٥٠) * نعم اني بخطيتي اسات الي ذاتي وجرحت نفسي بسيف ذى حدين * الآ انني لست ابالي من هذا واحتسبه كلاشي *

وبعكس ذلك ان كانت النفس ترتد الي خالقها لابحركة محبة نقية كاملة بل بحركة محبة اخرى غيركاملة ممتزجة امّا برجا الخيرات المعدة للصديقين. او بالخوف من العذابات المعدة للخطاة. او باستقباح الشناعة المتعلقة بالخطية * فانه حينيذٍ يقال عنها انها نادمة ندامة غيركاملة. صادرة من حركةٍ فايقة على

وذلك حبًا بالله المحبوب منها افضل
من كل خيرٍ سواه *
فياما اكثرما يكون حظك سعيدًا
ان كنت تندم هكذا على خطاياك
سيما في ساعة وفاتك * لانك بهذه الندامة
التي هي كمعمودية جديدة. تجعل نفسك
افضل من الثلج بياضًا . وبها تمحو
خطاياك قبل ان تغسلها بحميم سر
الاعتراف * ومن يندم على هذا النسق.
فلا جرم في ان ندامته تكون عظيمة .
من اجل انه يعتدّ الخطية اعظم من كل
شر سواها * ثم انها تكون نقيةً جدًا
لكونها صادرة من جرى اساته الى
جود الله ربهِ لاغير * حتى انه لو يبصر
ابواب جهنم مغلقة . وابواب الفردوس

الاباء القديسين وتلتصق بالخلايق بحبها
لها افضل من حبها الخير الاعظم * وهذا
هو الذى يشكو منه تعالي بقوله عن
الخطاة انهم ولوا وجوههم عني وتواروا *
وبخلاف ذلك حينما ترتجع تلك النفس
تايبة بندامتها علي خطاياها. فانها تنكفى
حينيذٍ راجعةً الي ربها * فان كانت
بندامتها تعود الي الله بمحبة هذا
حدها حتي انها تتغاضى بالكلّية عمّا
يخصها . وترتجع اليه سبحانه بمحبة
محضة. فتدعي ندامتها حينيذٍ ندامة
كاملة * وقد يمكننا ان نعرّفها هكذا
قايلين. ان الندامة الكاملة هي توجع
النفس من جرى الخطية. وبغضها اياها
بما يسمو علي بغضها كل شر سواها.

وذلك

والدموع * بل تلك التي تتم في الارادة. وتجعل الانسان ان يبغض الخطية ويمقتها ويتمني الآ يكون ارتكبها * ويقصد عدم العود اليها قصدًا اكيدًا ثابتًا * غير ان هذه الندامة الباطنة اذا ما كانت عظيمة فانها تتصل بسهولة الي الجزء الحسي. وتميل بصاحبها الي البكا والتنهد *

ثم اعلم ان هذه الندامة نوعان * النوع الاول يدعي ندامةً كاملة * والثاني يدعي ندامةً غير كاملة * وهانحن نوضح الان هاتين الندامتين بكلما يمكننا من الايضاح والاختصار *

فنقول اعتبران النفس بفعلها الخطية تنفصل من الله تعالي حسب تعليم

فرط منه من دون حث نفسه على
الندامة حينما يتقدم الي سر الاعتراف *
لانه ماذا ينفعك يا اخي ايراد خطاياك
ان كنت لا تلاشيها بالندامة * وما هذا
الاعتراف الخالي مما هو ضروري له ضرورة
جوهرية . اعني به الندامة *
فاعتقد اذاً بما لا يشوبه ريب اصلاً *
وهو انه من دون هذه الندامة لمن
المستحيل ان يكون الاعتراف جيداً *
وقد يجب ان تكون متقدمة قلما يكون
علي حل الكاهن * لان البعض من
المعلمين المعتبرين ذهبوا الي انه ينبغي
ان تكون الندامة سابقة الاعتراف
ايضاً * وبقولي الندامة لست اعني تلك
التي تشعر بها الحواس وتظهر بالتنهد

* الفصل السادس *

في الندامة اللازمة للخاطى في * سر الاعتراف *

انه من شان الصياد اذا ما وجد وحشًا بعد تعب وعناءٍ جزيل الّا يكتفي بذلك * لكنه يبذل ايضًا جهده في ان يقتله * من حيث انه في هذا قايمة غاية تعبهِ * هكذا يجب علي من يقصد التقدم الي سر الاعتراف * اي الّا يكتفي في الاطلاع علي خطاياه بواسطة فحص الضمير * بل ان يجتهد ايضًا في ان يميتها و يلاشيها بالندامة * من اجل انه في هذا قايمة ثمرة الفحص * فقد ضل اذًا من يجعل كل اجتهاده في الفحص عمّا

اليهِ تقدس اسمه حالاً * واطلب عونه
واظهر لهُ كل ما يتردد في قلبك * وجدد
بين يديهِ وعدك لهُ بالطاعة لاوامره *
فلا جرمَ في انه جلت رحمته يسرع الى
معونتك * ويمنّ عليك ببركة الغلبة *
وحينما تريد ان تتقدم الي منبر الاعتراف
افحص قبلاً باجتهادٍ واجب كيف كان
تصرفك بالافكار الردية حينما ضغطتك *
وانظر على الخصوص هل انك مربي
بعد في قلبك بغضاً ما للقريب * وهل
انك معاشر شخصاً ما معاشرة خطرة *
علي انه من المحقق والموكد بالتجربة
انه من شهوة الزنا والغضب
تصدر غالباً الافكار
* الردية *

من اجل انهم لم يتموها بالفعل * بل اعتقد يقيناً هذه الحقيقة الجزيلة الاعتبار . وهي ان الخطية الفكرية من دون الفعل هي لدى الله سبحانه في مقام الفعل نفسهِ عظمةً وجسامة * على انه كما ان التمرد على الملك والعزم على قتله ولو لم يكمل بالفعل هو اثم عظيم يستحق صاحبه الموت الزمني * هكذا التمرد على الله تعالى بالفكر فانه يستحق الموت الابدي ولو ان هذا العزم الردي لا يكمل بالفعل *

فان اردت اذاً ان تجعل خلاصك في امان فاصغ لمشورتي هذه واتبعها * وهي انه متى ما شعرت في نفسك بحركة التمرد على الله تعالى بالخطية . فالتجى

لهم * وبرسم اشارة الصليب المقدس
الذى منه ترتجف قوات الجحيم *
وبممارسة افعال فضايل مضادة لتلك
التجارب * وبابراز عزمٍ متين وقصدٍ
اكيد علي ان يقبلوا الموت ويفضلوه
على قبول تلك الوساوس * الّا ان هذا
التعليم لايفيدهم الان شيًا بعد ان
أُغلق دونهم باب التوبة وانسد طريق
الخلاص *
فعليك اذًا ايها المومن ان تستفيد من
هذه النصايح الخلاصيّة ما دام يمكنك
ذلك * اجتهد ان تصيّر التجربة مهمازًا
يسوقك ويحثك على الارتداد الى الله
تعالى حالًا * لاتقتدى باوليك الاغبيا الذين
استخفوا بالخطايا الباطنة وازدروا بها

في زمن صحته غير قادر على ان يقطع
خيطًا رفيعًا * اواه ما اكثر الخطاة
الذين مع كون الله تعالي برحمة
خصوصية قد منحهم مهلة" كافية
لممارسة التوبة. ولما ادركتهم ساعة
الموت انغلبوا بوساوس الشيطان *
وذلك من اجل انهم كانوا معتادين فيما
تقدم على قبول تلك الوساوس
والهواجس . وهم الان يحترقون في
اتون النار الابدية * فياليتهم كانوا مرنوا
انفسهم منذ حداثتهم علي ان يقاوموا
التجارب في حين ابتدايها * وذلك
بالتجايهم الي الصلوة. وبطلبهم العون
من ملكة السما ومن الملك الحارس
والقديسين الذين كانوا اتخذوهم شفعا

صارت فيهم الخطية طبيعية. حتي اضحوا
يشربون الاثم مثل الما. كما قيل عنهم في
سفر ايوب البار (ايوب ١٥) * فماذا يحل
لهم في هذه المعركة الاخيرة * وها هوذا
هم خالون من القوة وليس لهم اسلحة
ولا عون * وقد احدقت لهم اعدا اقويا
مستعدين لافتراسهم * كيف لا ينغلبون
لوساوس الشيطان. وها هوذا وهم في
حال الصحة ينغلبون لادنى تجربة. بل
يسقطون ويخطيون من دون من
يجربهم * كيف يستطيع ان يستمر قايما
ثابتا بازاء زوبعة عاصفة. من يتقلقل
بل يسقط بادنى ريح تهب عليه * كيف
يقدر ان يقطع عند فنا قوته وحياته
سلاسل حديدية قد ارتبط بها. من كان

الزمن * ثم ارتد الى حالهِ الاولى حال
الهدو والسكينة وهتف قايلاً * ياما
ارهب قوة الشياطين الذين يحاربون
الانسان في ساعة الموت * اشكرك
يا الهي لانك ظفرتني بهم باستحقاق دم
سيدنا يسوع المسيح (انتهى) *
فان كانت قوة الشيطان عظيمة بهذا
المقدار في محاربتهِ الاخيرة لانسان
قديس لم يكن في زمن حياتهِ كلها
ارتكب خطيةً ما مميتة. بل كان مع كونهِ
اميراً متزوجاً. حافظاً خدره في حال
عفة مليكية * فماذا يكون من امر اوليك
الخطاة الاشقيا. الذين منذ صباهم الي
زمن الشيخوخة تعمقوا في حماة
الدنس * وباستمرارهم في هذه الحال

صارت

انه لمّا عزم داود علي محاربة جليات الجبار. وقدّم له شاول الملك اسلحته المنيعة فلم يستطع داود ان يستعملها * وذلك لانه كما ذكر الكتاب المقدس لم يكن معتاداً عليها * فهذا عينه يجرى بالخاطى في هذه المعركة الاخيرة المريعة * لانه لاجل كونه غير معتاد علي استعمال الاسلحة الروحيّة * فيلتزم بان يقف من دون اسلحة تجاه عدوٍ خبير خبيث قوى * وان سقط في الميدان مغلوباً فلا محالة يهلك هلاكاً ابدياً *

خبرنا سوديوس المورخ عن القديس اليعازر الامير. انه لمّا دنت ساعة وفاته استولي عليه بغتةً سجس واضطراب عظيم * ولبث في هذه الحال مدةً ما من

ابليس يبذل في تلك الساعة كل
مجهود رجس * والحال انه اعني المنكود
حظه لا يحارب النفس في ذلك الوقت
الّا بالافكار * من اجل ان الضعف
الجسمي الحاصل عليه المريض لا يدعه
ان يخطي بالفعل * اواه ترى كيف يقاوم
تلك الافكار الردية ذاك الذي اعتاد
مدة حياته كلها ان يذعن لها ويقبلها *
مع انه في ذلك الحين يكون معذباً
بالاوجاع. ومغلوباً من الحزن. ومرتعداً
ومرتجفاً من قبل خطر الهلاك الابدي *
والذي لم يستطع في مدة حياته كلها
ان يظفر بعدوه ويقاوم وساوسه.
كيف يستطيع ان يقاومه وينتصر
عليه في تلك الساعة ساعة موته *

عدوه القوى * وذلك لان الشيطان
خذله الله يفرغ وقتيذٍ كل جهدهٍ
ويستعمل كل حيلةٍ لكيلا تفلت هذه
النفس من بين يديهِ * وقد اورد ذلك
جليًا يوحنا البشير في سفر جليانهِ قايلاً *
ان الشيطان قد انحدر واتى بغضبٍ
عظيم لعلمهِ بان الزمن الذى بقى له قليل
يسير (رويا ١٢) * اى نعم لقد عرف
العدو ان الزمن الباقي له لمحاربة هذه
النفس الحاصلة في ساعة الموت هو
وجيز جدًا وقصير * وانه اذا ما نجت من
بين يديهِ لا يمكنه خزاه الله ان يستاسرها
فيما بعد * فبخلاف ذلك اذا ظفر بها في
هذا الوقت فلمن المحال ان تلقى عنها
تبرح ابدًا * فليس اذًا بعجبٍ ان كان

اعراضاً كثيرة لايمكن وجودها معاً
الاّ نادرًا * ولهذا يسوغ لنا ان نقول .
انه قبل ان تكون الخطية تمت بالفعل .
لابد من ان يكون قد تقدمتها افكار
ردية كثيرة * وان تلك الافكار استمرت
ربما شهورًا وسنين عديدة *
الحجة الثانية هى انني لست افهم كيف
ان الانفس الشقية المعتادة على قبول
الافكار الردية والمتغافلة عنها دايماً .
تستطيع من دون اعجوبةٍ من رحمة
الله تعالي ان تنجو في ساعة وفاتها من
الخطر العظيم خطر الموت الشرير *
لكون الخاطى الحاصل في ذلك الحين
علي ضعف بليغ . يحتاج الي توفيق خاص
من الروح القدس لكى ينتصر على

فعليك اذًا بان تطفي النار في ابتدا
التهابها * اى سبيلك في ابتدا التجربة
ان تلتجى الي الله تعالي مستغيثًا به
عزّ وجل. وتلتمس من رحمته باتضاع
وحرارة الروح ان ينقذك منها سالمًا *
ولان الضد لا يطرد الاّ بضده. فاقتدِ
اذًا بمن يدفع مسمارًا بمسمار اخر. اى
ادفع الفكر الردى بفكر اخر يضاده *
فهذى هى النصيحة التي حرضتك علي
اعتبارها * ولعمرى انك ان اهملتها فتلقى
نفسك وخلاصها في خطر عظيم * وكلامي
هذا يعتمد علي حجتين مقنعتين *
الحجة الاولي هى ان الخطية الفكرية تتم
بسهولة جدًّا * امّا الخطيّة الفعليّة
فليست كذلك * بل انها تقتضى

ذلك بقلب سليم ناجٍ من كل غشٍ
وخالٍ من القصد الردى * ولم يعلم مثل
هولاءً ان عدم القصد لفعل الدنس
لا يبررهم * لكون من يستلذ فقط في
هذه الامور النجسة يخطى بذلك خطيةً
مميتة *
ناشدتك الله ايها الاخ بالمسيح ان تصغى
معتبرًا لهذه النصيحة الاتى ذكرها *
وهى ان شيت ان تتحفظ من الخطايا
الفكرية فينبغى لك ان تقاوم التجربة
من ابتدايها * لانه كما انه امر سهل هين
اجتياز الوادى قبل ان تتكاثر مياهه
ويشتد عزم جريها * هكذا هى سهولة
مقاومة الافكار الردية والتجاريب في
ابتدايها. اى قبل ان تشتد وتتقوى *

فعليك

قتله * ثانيًا بالسرور والاستلذاذ
فقط * وذلك حينما لا تنشا الارادة ان
تبلغ اتمام الامر. بل انما تسر مستلذ
في ذلك الموضوع الردى * كمن يجد
عدوه مقتولًا من اخر فيفرح مبتهجًا
بذلك * وهذا الاستلذاذ الردى لا يلاحظ
الخطا في زمن الحال فقط. بل الخطايا
الماضية والمستقبلة . والخطايا الممكنة
والغير الممكنة علي حدٍ سوى ايضًا *
فمما تقدم ايضاحه تستطيع ان تعلم
جسامة ضلال بل تفاقم غباوة اوليك
الذين في مخاطباتهم يتكلمون بالفاظٍ
سفيهة عن اشيا دنسة قبيحة كانهم
يوردون امورًا معتبرة واخبارًا صادقة.
ثم يعتذرون قايلين انهم انما تكلموا عن

الي الفهم * ومنه تبلغ الي الارادة *
غير ان كل هذه الانواع من الانتقالات
تتم بدقيقة من الزمن * والحال انه لمن
المحقق ان الافكار الردية التي لاتتصل
الي الارادة ليست هي بخطية * بل انما
هي تجارب بسيطة محضة فقط * الّا انها
حالما تبلغ الي الارادة وتقبلها بسرور
وترتضي بها. فانها تكون حينئذٍ خطية *
وبعكس ذلك ان طردتها الارادة
واشمازت منها فانها تعود موضوعًا
لنيل الاكليل *
اعلم انه قد يمكن ان نخطي بالارادة
بحسب نوعين * وذلك اولًا بواسطة
الاشتها. اي حينما نشتهي حقًا ان نبلغ
الي تتميم الامر. كمن يبصر عدوه فيشتهي

علي الدرجات ثم يدخل الي حيث تكون
الحراس. ويجتاز منازل مختلفة قبل ان
ينتهي الي ديوان الملك * فهكذا يجري
الامر في ما من شانه ان يلقى الانسان
في التجربة باطنًا * علي انه لمن الممتنع
ان يتصل ذلك الشي الى ارادته قبل
ان يجتاز قوى كثيرة من قوى النفس *
لان الاشيا التي يتجرب بها الانسان
تتصل اولًا الي الحواس الخارجة * اعني
بها النظر والسمع والذوق والشم
واللمس التي هي كالمداخل للتجارب *
ثم منها تتصل الي القوى الباطنة التي
هي كدرجاتٍ ترتقي بها الي ما قدام *
ومن هناك تذهب الى المخيلة التي
هي كقاعةٍ متسعة * ومن هناك تتقدم

هو الامر الذى اوصانا به الروح القدس بفم الحكيم قايلاً احفظ قلبك باحتراسٍ كلّيّ (امثال ٤) * لكن واسفاه ما اكثر الذين لا يبالون بهذه النصيحة * ما اكثر الذين يقتبلون في قلوبهم الخطايا الفكرية بسهولةٍ ويرتضون بها . وبعد ارتضايهم بها لا يعتبرونها * ومن ثم تراهم في النادر يعترفون بها * مع ان الاعتراف بها هو الجزء الاعظم * فلتوضحنّ الان اولاً ما تتوقف عليه خطية الفكر . لكي يعلم المومن ما الذى يجب عليه ان يفعله حينما يفحص ضميره *

فاعتبر انه لكي يتصل احد الى حيث يكون الملك جالساً * ينبغي له ان يذهب اليه الي البلاط الملوكي . ويصعد

علي

فاسلك باسم الرب الهي الي الابد امين
* (ميخا ٤) *

* الفصل الخامس *
في الفحص عن الافكار

انه كما ان القلعة في المدينة الحصينة المبنية بنظام هي الجزء الاكثر اعتبارًا في المدينة. و بالتالي هي الجزء الذي تحتفظ الناس عليه اكثر احتفاظًا * هكذا القلب في الانسان فانه هو الجزء الاوفر قيمةً * ولهذا يجب على النفس ان تبذل اخص مجهودها واوفره في ان تصونه ناجيًا من كل ضرر * وتسد دونه كل الابواب التي منها يمكن ان تلجه الافكار الردية وتنتصر عليه * هذا

تاكيدًا وطمانينةً *
فتذكر اذًا ايها المومن كلام ابن الله
تعالي القايل ان الطريق الرحب
والباب الواسع هما يهديان الانسان
الي الموت الابدى (متي ٧) * وانظر الي
مايخص تدبير خلاص نفسك * لاتقتدِ
بمثال الاكثرين * اياك ان تتبع
الجمهور لتصنع شرًا * ولا تكن كالقرمة
الحاصلة في وسط النهر التي تجرى
حسبما تجرى المياه * ماذا يعنيك ان
كان الناس لايفعلون مثلك ولا
يسلكون في طريقك * فان كانت هذه
الطريق امينةً تنتهي بك الي حيوة
الابد . فقل مع ميخا النبي ليسلك جميع
الشعوب كل واحدٍ باسم الهه امّا انا

ختام هذا الخبر. انه لا يعرف هل ان ذلك
السايح فاز بعد وفاته بالسعادة الابدية.
ام حتم عليه بالهلاك المويد *
فمن يرد اذاً ان ينجو من هذا الخطر
فعليه اولاً ان يلتجي الي الله تعالي
طالباً من رحمته ان يريه ما يمكن
ان يكون مختفياً في قلبه بخباثة ما.
وليقل مع المرتل بنشاط هكذا الهي
اضيء ظلمتي. ولا تسمح ان يدركني
ظلام الموت وينتصر عدوي عليّ *
وبعد ذلك ليخض بالفحص عن واجبات
دعوته * وليستشر من يستطيع ان
يقدم لهُ نصايح الخلاص. اعني ليستشر
مرشداً لبيباً فطناً عالماً * وليتمسك
علي الدوام بالراي الاوفر اماناً والافضل

والحال انهم بهذا التواني يلقون انفسهم
في خطر عظيم * لان هولاء اعني لهم
الذين كانوا يستخفون قبلاً بخطاياهم
المتعددة العظيمة. يخشي عليهم جداً من
ان يستحوذ عليهم الياس والقنوط في
منتهى حياتهم *
خبرنا القديس يوحنا كليمكوس في
كتابهِ المدعو سلم الفضايل عن واحد
من السواح يدعي استفانوس * فقال
انه بعد ان استمر هذا الراهب في سيرةٍ
قشفة مدة اربعين سنة . ودنت ساعة
وفاتهِ * اراه الشيطان بعض خطايا لم يكن
انتبه عليها قط * فهذا المنظر المريع القى
السايح في سجسٍ واضطرابٍ عظيم .
حتي ان القديس المذكور يقول في

ولكن من دون ان يقصدوا قصداً
حقيقياً ان يتوبوا عليها . وهكذا
عكرها لن يهرق (مزمور ٧٤) *
الّا انه اذا ما حضرت ساعة موتهم .
فتتغير عليهم حينئذٍ الامور بالكلّيه *
لانهم في ذلك الوقت سيرون ويميزون
جدًا مالم يشعروا به سابقاً . ومالم يكونوا
يريدوا ان يعاينوهُ في مدة حياتهم *
قال الطبيعيون ان الخلد يستمر على
حال العمى مدة حياته كلها . ولا يفتح
عينيه الّا حينما يدنو من الموت * فهكذا
يجرى الامر مرات كثيرة في الانام الذين
في مدة حياتهم كلها لا يفتحون عيونهم
لكي يلاحظوا واجبات دعواتهم . ولا
ينتبهون عليها الّا في حين وفاتهم *

الزموا خدامهم او سمحوا لهم بان يشتغلوا في ايام الحدود والاعياد * ثانيًا اذا تغاضوا عن تهذيب سيرتهم . وارخوا لهم العنان ليعيشوا على حسب اهوائهم * ثالثًا اذا لم يعلموهم الاشيا الضرورية للخلاص . او لم يقيموا عليهم من يعلمهم ذلك * رابعًا اذا نكثوا بما وعدوهم به ولم يتمموا ما شارطوهم عليه *

فهذه الخطايا كلها وغيرها نظيرها تستمر خفية نظرًا الى اناسٍ كثيرين مصابين بعمى روحي اختياري يصدهم عن ان يطلعوا عليها * او قلما يكون بصيرهم الّا يشعروا بعظمتها * ومن ثم امّا انهم لا يعترفون بها * امّا انهم يعترفون بها

سفيهة * او يضربونهنّ كانهن جواريهم لا قريناتهم * ثانيا حينما يصرفون في اللهو والشرب المال الذى تحتاج اليه عيالهم * ثالثا حينما لا يعلمون اولادهم التعليم المسيحي او لا يبصرون لهم من يعلمهم ذلك * رابعا حينما لا يصيرون لبنيهم مثالاً حسنا بسيرتهم الصالحة. بل يشككونهم باقوالهم وافعالهم الرديئة خامسا حينما يسمحون لبناتهم ان يحضرن جمعيات الرقص والخلاعة والمجون. ويتكلمن بالانفراد مع الشباب والرجال * سادسا حينما يصدون اولادهم عن الترهب مع كون الله تعالي يدعوهم الي هذه الدعوة المقدسة *

واما ارباب البيوت فيخطيون اولاً اذا

ومع ذلك لايجتهدون في اكتساب ما يحتاجونه من العلوم لكي يعلموا الشعب المسيحي الاشيا الضرورية للخلاص ۰ والتناول اسرار الكنيسة حسبما يامر المجمع التريدنتيني *

ومنهم ثانيًا الكهنة الذين يقدسون الاسرار الرهيبة بسرعة وتلهوج ويمسكون بايديهم خبز الملايكة ويتصرفون به كانه خبز مالوف عديم القيمة والاعتبار . هذا ما يخص دعوة الكهنة *

امّا المتزوجون فانهم يخطئون مرات كثيرة ضد واجبات دعوتهم ولاً يشعرون بذلك * وقد يتفق هذا اولاً حينما يفترون علي نسايهم بالفاظ غضبية

هو اكثر اعتياداً . لكي يستطيع
الانسان من قبلها ان يحكم على ما
هو نظيرها حكماً مستقيماً . او قلما يكون
يتعلم ان يرتاب فيستشير ذوي العلم
والخبرة في ذلك * لانه من المحقق ان
الوصية التي تلزم العبد بتكميل ارادة
سيده . تلزمه ايضاً بمعرفة هذه الارادة
التي يلتزم بتكميلها * ومن يفعل بخلاف
هذا التعليم فلا ريب في انه يطغى نفسه
بجهل مقصود * ويشبه الذين قال
عنهم الحكيم . انهم ضد دمهم يرصدون
ويمكرون بانفسهم (امثال ١) *
ومن جملة هولاء فقد يوجد اولاً بعض
من الكهنة قد ارتقوا الى هذه الدرجة
السامية بدون العلم الضروري لها *

الكلمات. هكذا انتقم الله العادل من الخطاة الشهوانيين * فان فعلت هكذا فهل يمكنك فيما بعد ان تعود تستخف * بهذه الخطية *

* الفصل الرابع *

في ايراد بعض خطايا اخر خفية * تخص كل دعوة *

انه ما عدا الوسايط العامة التي تلاحظ كل المسيحيين مطلقًا. لقد توجد وصايا اخر خصوصية تلايم كل دعوةٍ ووظيفة ولا تلزم سوى اصحابها * ومن ثم لقد يمكن ان يعترينا جهل غير معذور نظرًا الي هذه القضية. وذلك علي انواع مختلفة * الَّا اننا لا نورد منها سوى ما

هو

اكثر تعبداً وخضوعاً مما يخضع ويتعبد
له خزاه الله بكل خطيةٍ سواها *
فانهض اذاً ايها المومن وقاوم هذا
العدو المميت بكل قوتك * ولكي تنتصر
عليهِ فاتخذ لك صاعقةً من اتون العدل
الالهي جزيل بغض الله تعالي لهذه
الخطية * لانه عزّ وجل قد قاصص
فاعليها باعظم العذابات وهو الطوفان
العرمرمي الذي اهلك جميع البشر ماعدا
ثمانية انفار * ولم تهطل كل تلك المياه
من السّما الاّ لكي تطفي نار هذه الخطيّة
المستقبحة * فاجمع اذاً جثث كل الذين
هلكوا بالطوفان. وضع جميع تلك الاعضا
المنتنة بعضها على بعض. واصنع منها
جبلاً عظيماً . ثم اكتب عليه هذه

جسامة هذه الخطيّة القبيحة التي
لا تدنس النفس فقط كساير الخطايا. بل
تدنس الجسد ايضاً حسب التعليم
الرسولي * ولفرط ما تصير الانسان ممقوتاً
ومكروهاً . يشبهه الكتاب المقدس
بمزبلة كريهة منتنة (ابن سيراخ ٩) *
اي نعم ان هذه الخطية لعظيمة جداً
جداً . ولا توجد خطية يعسر الارتداد
عنها كما يعسر الارتداد عن هذه الخطية *
ولهذا قال هوشع النبي لا يعطون
افكارهم ليرجعوا الى الههم لان روح
الزنا في وسطهم (هوشع ٥) * فقد يسوغ
لنا اذاً ان نختم كلامنا بما قاله القديس
ايسيدروس * وهو ان جنس البشر
يخضع للشيطان ويتعبد له بخطية الزنا

الذين يستخرجونه من معدنه * ولهذا
نرى اهل الدنس يستخفون بهذه
الخطايا * ولذلك يجب علينا ان نسهب
في الكلام قليلاً في ايراد عظمتها
وجسامتها *
فنقول انه من جملة الشرور العظمى
الموجودة في العالم هو هذا الشر. اعني
الاستخفاف بخطية الزنا * حتي انه يوجد
اناس كثيرون يكافحون عنها جهاراً
ويحتسبونها نقايص الضعف البشرى *
وربما يوجد ايضاً بعض معلمي اعتراف
يحلون عنها بسهولة كانهم يعتقدونها
خطايا اضطرارية لا فرار منها * وعكس
هولاء الكهنة الذى هو اقل جرماً.
هو انهم لا يوضحون لتلاميذهم تفاقم

الشيطان النجس * ومع ذلك فلا يوجد
احد منهم يذكر هذا في الاعتراف *
لقد دعا الكتاب المقدس هولاء الاشقيا
اناساً منافقين راصدين مثل الصيادين
ينصبون الفخاخ والاشراك ليعرقلوا بها
الناس ويهلكوهم (ارمياه) * واما السيد
المسيح فقد اعطاهم الويل بقوله. الويل
للذين تاتى الشكوك منهم (متي ١٨) *
ولكن من هم هولاء الذين غالباً تصدر
منهم الشكوك * فلا ريب في انهم هم
الانام الشهوانيون المنهمكون في اللذات
الدنسة * لان مثل هولاء لا يشعرون
بالنتانة الكريهة التي تنبعث من حماة
لذاتهم البهيمية * كما انه لا يشعر بالروايح
المنتنة المتصاعدة من الكبريت . اوليك

النوع وتستمر مخفية ولا تورد في
الاعتراف * وهي حينما يقصد الانسان
متعمدًا ان يجتذب غيره الى الخطية او
يسوقه اليها على وجهٍ اخر بواسطة
مثالهِ الردى . ولا يبالي مما ينتج منه *
فان مثل هذا ما عدا انه يرتكب حينيذٍ
خطايا كثيرة . يخطى ايضًا ضد محبة
القريب الذى يقدم لهُ سببًا لان يسقط
في الخطيّة * ليت شعرى من هو الذى
يعتبر هذا الامر * كم من المسيحيين
يجتهدون في ان يجتذبوا الانام السذج
الي شرك شهواتهم الردية * تارةً
بالحديث السفيه . واخرى بحركاتٍ غير
محتشمة . ووقتًا اخر بافعالٍ مضادة
الادب وما شاكل ذلك من حيل

سيدنا يسوع المسيح قد اوصانا بفمهِ
العزيز بتاديب القريب كل مرةٍ نرجو
بالصواب اننا نربحه او نصده عن
الخطية المميتة * وقال الحكيم ان الله
تعالي اوصى كل احدٍ في قريبهِ * تامل حال
النوتية بعد انكسار سفينتهم كيف انهم
يسعون في مساعدة بعضهم بعضاً *
فترى كلاً منهم يلقى للاخر ما يمكنه
ان يسعفه بهِ لينجو من الغرق *
فهكذا يلزمنا ان نعامل القريب
حينما نجده حاصلاً في خطر الهلاك *
اخيراً اقول عن الوصيّة الرابعة التي
تلاحظ الحذر من ان نشكك القريب
ونسبب له السقوط في الخطية * انه
حقاً لقد توجد خطايا كثيرة من هذا

بها * مثلاً كمن يتوفق له ان يقول
كلمةً واحدةً لقريبهِ بها كان يستطيع
ان ينصحه من اجل ارتكابهِ خطيةً
ما او قصد ارتكابها . وبنصحهِ اياه
يصده عن الخطية ويكفه عنها . ومع
ذلك اهمل هذا التاديب الاخوي
محتجاً بانه لا يلتزم بالاهتمام في خلاص
الغير . بل يكفيه ان يعتني في خلاص
نفسهِ فقط * فلا ريب ان مثل هذا
يماثل بفعلهِ من قد كان يستطيع
بصراخه ان ينجي اخو من الغرق
في نهرٍ عميق . ومع ذلك يدعه ان
يعوم فيهِ الى ان يموت غرقاً *
والحال انه لقد كان يجب على مثل
هولاء ان يتاملوا هذا الامر . وهو ان

على المساكين. ولكن لهذا الغرض اى
لكى يبتاعوا منهم بسعر رخيص وثمن
حقير في زمن الغلا ما بقى عندهم من
الامتعة. او لكى يقرضوهم دراهم بالفايدة
بشروط مستصعبة تضاد العدل
معتدين هذه التجارة الفظيعة رحمة
ومساعدة للفقرا * لعمرى ان مثل هولاء
يشبهون الذين يقدمون للاغنام قليلاً
من الحشيش لكى يستحلبوا منها كل لبنها
ويختلسوا كل صوفها * واحياناً لكى
يسلخوا جلودها ايضاً *
ثم اقول عن الوصية الثالثة الملاحظة
التاديب الاخوى * انه نظراً الى ذلك
يوجد كثيرون ايضاً الذين يربون
الخطية ضمن قلوبهم وهم لا يشعرون

علي قساوة قلوبهم نحو البايسين .
و يريهم اناساً كثيرين من اوليك الذين
كانوا احتسبوا حالهم سعيدة لو يعطونهم
ما اصرفوه هم بالبذخ و الفخر العالمي
الباطل *
الا انه تعالي سيوبخ اكثر من ذلك
اوليك الاغنيا المقتدرين او لي السلطان
العالمي * لان مثل هولاء تلزمهم الوصية
الالهية بتوزيع الصدقة لا علي المساكين
الذين يلتمسونها منهم فقط . بل علي
الذين لا يلتمسونها ايضاً * لانهم اعني
الاغنيا المقتدرين يلتزمون بان يفحصوا
فحصاً اكيداً عن الفقرا الذين تحت
سلطانهم وعن ضروراتهم لكي يسعفوهم *
نعم ان بعضاً من هولاء الاغنيا يفتشون

اشيا باطلة ما يفضل عنهم زيادةً عمّا يصرفونه بالصواب فيما تقتضيه حالهم * ولا يفتكرون في ان الوصية الالهية تلزمهم الزامًا مطلقًا بان يسعفوا المساكين بالصدقة . لا في حال ضرورتهم القصوي فقط . بل في ضرورتهم الباهظة ايضًا * اى في الحين الذى لا يمكون لهم ما يقدرون ان يعيشوا منه الّا بصعوبةٍ عظيمة * فهذا هو الامر الذى لا تفتكر فيه الاغنيا اصلاً * هذا هو الامر الذى تنفر نفوسهم عن استماع ذكره واعتباره * الّا انهم في ساعة الموت سينتبهون وينتحبون علي سوء حظهم * وذلك حينما يحاسبهم ابو المساكين رب العالمين . ويوبخهم

فرارك عن مخاطبة القريب هي علامة
غيظك عليه . فتلتزم ضرورةً بازالة
هذا الشك الذي من شانه ان يربي
العداوة في قلب قريبك * وان كان
ذلك الشخص المحسوب منك عدوك
سلم عليك ولم ترد عليه السلام. فيلزمك
ان تسبقه فيما بعد وتسلم عليه اولًا *
ومن يابى عن قبول ذلك فحالهُ حال من
يربي في قلبه حية الخطية تحت حشايش
اعتذارات باطلة غير كافية اصلًا *
امّا الوصيةُ الثانية اعني بها الصدقة.
فانه لمن المحقق ان اغنيا كثيرين
يربون الخطية في قلوبهم بتغاضيهم
الغير المعذور عمّا هم ملتزمون به من
فعل الرحمة * وهم الذين يبدرقون في

قبله * وبهذه الحجج الباطلة وما يضاهيها
يخدعون نفوسهم . معتقدين انهم
لا يلتزمون باكثر من ذلك * غير انه
لمن المحقق الذى لا يشوبه ريب اصلاً .
ان الله تعالي يلزمهم باكثر من ذلك .
اذ انه سبحانه يامرهم في مواضع شتي
من الكتب المقدسة لا بان لا يريدوا
شرًا للقريب فقط . بل بان يحبوه ايضًا *
لان سيدنا يسوع المسيح جل ذكره
قال هكذا . هذه هى وصيتي ان تحبوا
بعضكم بعضًا كما احببتكم انا . حبوا
اعداكم (يوحنا ١٥ متي ٥) *
فلا يكفينا اذًا الا نريد شرًا لاعدائنا .
بل ينبغي لنا ايضًا ان نظهر لهم ذلك
بعلامةٍ خارجة * ومن ثم ان كان

فمن جهة الوصية الاولى اعني بها محبة
الاعدا نقول. اننا نشاهد اناساً كثيرين
لا يريدون ان يخاطبوا من يظنون به
انه اضرهم او افترى عليهم * مع انهم
يتكلمون مع جيرانه واقربايه ومعارفيه *
وان سلم عليهم ذلك فلا يردون عليه
السلام . ويظهرون غيظهم وسم
قلبهم الشرير في كل صدفةٍ . ولا
يزالون يتذكرون ما افتري عليهم
به * وان عنفهم احد عن ذلك فنراهم
يعتذرون عن بغضهم ويسترونه
ويقول كلٌ منهم هكذا * نعم انني
لا اشتهي خيراً لفلان . لكنني لا اريد له
شراً . فليستقم على حاله . وليدبر
اموره كما يشا. يكفيني ما احتملته من

في حال خطية مميتة متصلة تشبه حمى
وباسية تنتهي بصاحبها الي الموت الابدى
لامحالة *
نقول ثانيا عن الخطايا التي تهمل وهى
ملاحظة محبة القريب * انه علي المنوال
المتقدم ذكره. يتفق ايضا ان خطايا
كثيرة من التي تلاحظ محبة القريب
تستمر مخفية لاجل توان وتغاض غير
معذور * ولكى تفهم ذلك اعتبر ان
الوصايا الملايمة هذه المحبة هى اربع علي
الخصوص *
فالوصية الاولي تخص محبة الاعداء *
الثانية تلاحظ فعل الصدقـة *
الثالثة تلايم التاديب الاخوى *
الرابعة ان نكفى عما يشكك القريب *

واظهار عزم متين على مقاومة هذه
الخطايا. واستعمال وسايط معينة جزيلة
الفاعلية لحسم هذه العوايد الردية
واستيصالها. اعني ليفرض الانسان علي
نفسه بان يتلو صلوةً ما كل مرة يزل
بمثل هذه الزلات . او يصوم صوماً ما.
او يمارس تقشفاً من التقشفات او يعطى
صدقةً ما * وقد قال الذهبي فمه ان
الواسطة الاكثر فاعليةً في استيصال
رذايل اللسان هي الصوم * من اجل ان
هذا العذاب يواضع الانسان ويرده الي
حال الطاعة * ومن لا يشا ان يستعمل
هذه الوسايط. فانه ياثم اثماً جديداً من
جرى توانيه هذا. الذى من شانه ان
يجعل الانسان كما علمت الاباء القديسون

ولعناتهم * فمثل هذه الاعتذارات وغيرها مما تضاهيها تصيرهم الا يضطربوا من قبل هذه الخطايا بل ان يستخفوا بها * والا يشعروا بنتانة نفس افواههم * مع ان الذى يخرج منها ليس هو باقل سمًّا ونتانةً من ذاك الذى يخرج من فم جهنم نفسها * فمن اجل ذلك تستمر هذه الخطايا مخفية على نوعٍ ما ومدفونة في اقصى مخادع قلوبهم * اى طالما لا يبغضونها بغضًا واجبًا *

فليعلم مثل هولاء اعني بهم المعتادين على الحلف واللعن والتجديف * انه يلزمهم ان يبذلوا اجتهادًا عظيمًا في استيصال هذه العوايد الردية * وذلك بطلب العون الالهى . وبصلواتٍ نشيطة حارّة .

واظهار

تمييز وافراز ايضًا * اى غير مفتكرين
ولا عارفين هل يحلفون صدقًا ام
كذبًا * وقد يمكننا ان نقول مثل
هذا القول باوفر الصواب عن عادة
اللعن والتجديف * فياما اكثر اوليك
الذين كل مرةٍ يفتحون افواههم يهينون
اسم الله القدوس بالفاظٍ نفاقية * وفي
حين اعترافهم يعتذرونً قايلين ان
السنتهم قد اعتادت علي اللعن والتجديف
وانه لمن الممتنع ان يرتدوا عن هذه
العادة * والبعض يقولون انهم لم يضروا
احدًا ولم يقصدوا ضرر احدٍ بالحلف *
وغيرهم يحتجون بان الخلق وشدة
الضيقة ورطتهم في هذه الخطايا * وانهم
لم يقصدوا ان يهينوا عزة الله بتجاديفهم

من مثل هذه الالفاظ * الله وكيل هكذا
صار * وديني هكذا قلت * بالله عليك
هكذا فعلت * الله يعلم اني فعلت ذلك *
مثل ما هو قدام الله * يتمجد يسوع
ومريم العذرا الامر جرى هكذا * الله
يلعن الكذاب * الله يقصف عمري
ان كنت لا اصنع كذا * وقس علي هذه
انواعاً كثيرة من الحلف التي يعتذرون
عنها قايلين انهم لا يقدرون ان يبطلوها
لاجل استمرارهم في اعتيادهم عليها *
حتي ان مثل هولاء لا يعتبرون انهم وان
حلفوا صدقاً من دون ضرورة تدعو
الي ذلك. فانهم يخطئون علي الدوام خطية
عرضيّة * وانهم يخطيون خطيةً مميتة
كل مرة يحلفون لا كذباً فقط. بل بلا

لايقتضي منهم سوى ان يستشيروا من
يقدر علي ارشادهم * لقد ذكر المعلمون
الطبيعيون عن الصنونو انه يُعترى غالبًا
بوجع العينين * وان هذا الالم يسبب لهُ
احيانًا العمى * وان الدوا لهذا الدا هو
نبات مايدعي كاليدونيون * فان ابى
هذا الطاير عن الانتقال الي حيث توجد
هذه الحشيشة الشافية لهُ من دايهِ. فمن
ذا الذى يحنو عليهِ مشفقًا *
امّا الخطية الاخرى الخفية فهى توانى اناس
لايحصى عددهم في استيصال عاداتهم
السيئة. كالحلف واللعن والتجديف
وغيرها * فما اكثر الذين لايقدرون
ان يوكدوا شيًا الّا بالقسم * فترى
حديث مثل هولاء لايخلو على الدوام

نفس متدنسة بخطايا مميتة كثيرة
ايضاً *
وهكذا يوجد اناس كثيرون في حال
اشر من ذلك * اعني اناساً يجهلون
بالكلية الاستعداد الضروري لاقتبال
نعمة سر التوبة * فمن ثم يتقدمون الي
منبر الاعتراف من دون الندامة والتوجع
علي خطاياهم . وبغير قصد ان يصلحوا
سيرتهم * ولهذا ليس انهم لاينالون
المغفرة فقط كما سياتي بيانه . بل انهم
يضاعفون تعداد خطاياهم وجرمها
ايضاً * وهذا الاهمال الذي هو غالباً
خطية مميتة يسمي مخفياً . واكثر
الناس لايعترفون به ولايتوبون عليه *
مع ان الخروج من حال هذا الجهل

لا

قايمة في الاهمال . وقد يعسر الاطلاع عليهـا * وهذا يتفق اولاً حينما نتغاضى عن بعض خطايا ملاحظة محبة الله * ثانياً حينما نتغافل عن الخطايا الملاحظة محبة القريب *

فنقول اولاً عن الخطايا التي تهمل وهي ملاحظة محبة الله * انه يوجد كثيرون الذين يتغاضون عن التعليم المسيحي الذى يلتزم كل مومن بمعرفته * ومن ثم لا يعلمون ما يخص اسرار الايمان واسرار الكنيسة المقدسة وكيفية تناولها * فنرى احياناً اناساً ملتحفين بجهلٍ هذا حده . حتي انهم لا يعرفون ان الزيجة هي سرّ كنايسي الهي * ولذلك يقتبلون هذا السر لا خلواً من استعداد العبادة فقط . بل في حال

في حال العمى غير عارف بخطاياه * ويغلق كوى عقله بازاء اشعة شمس النعمة . ليلا ينفذ نورها فيخدع عقله المدلهم *

ولا تظن ان عدد هولاء الخطاة هو قليل * لانه لو يكون خطاء الانسان بجهل اختياري نادرًا لما كان الكتاب المقدس يحثنا دايمًا على ان نطلب نورًا يرينا طرايق الله تعالي * وعلي ان نسالهُ عز وجل غفران جهلنا اياها * لعمري ان عدد العذارى الجاهلات لعظيم جدًا * ومن اجل توانيهن سيقال لهن لست اعرفكنَّ (متي ٢٥) * وقال الرسول ان كان احد ليس يَعلم فلا يُعلم بهِ (قرنتيه ١ ص ١٤) اعتبر الان ان اكثر هذه الخطايا هي

فيكون ذلك اولاً حينما لا يريد الانسان
ان يفحص ضميره بالاجتهاد والاحتراس
الواجب * ثانياً اذا لم يعتبر الفحص عن
واجبات دعوته * ثالثاً حينما لا يشا ان
يستشير عن ذلك من يستطيع ان يعلمه
هذا الفحص * رابعاً اذا اهمل الالتجا الي
الله تعالي ولم يطلب منه نوراً يضي له في
مثل هذا الامر الجزيل الاعتبار *
والحال ان الخطايا التي ترتكب في حال
هذا الصنيع الاختياري تدعي خطايا
خفية * وذلك من اجل ان التواني لا يدع
صاحبه ان يشعر بها * وعنه اي عمن هو
متصف بهذا التواني يجب ان نقول مع
النبي هكذا . انه لم يرد ان يفهم ليعمل
الخير (مزمور ٣٥) * بل يلبث اختياريا

الاعمى اذا ما عثر فسقط من اجل انه لم يجد احدًا ينصحه ويعامله برحمة * لان مثل هذا لا يوجد احد يوبخه علي سقوطه او يعامله بصرامةٍ * بل ترى الناس يهدونه بوداعةٍ ويرشدونه بالصبر الي الطريق. كما فعل الذين ارشدوا ماربولس بيد لمّا صادفوه في حال العمى * وبخلاف ذلك لا يوجد احد يرثي راحمًا لمن اغمض عينيه متعمدًا ليلا يبصر * لكن اذا ما سقط وهو في هذه الحال وتهشم فيلومه الجميع * فهكذا لا يحنو الله تعالي علي من يخطى بجهل اختياري. ولا يقبل اعتذارًا عن الخطايا الصادرة من هذا الجهل * وقد يتفق حدوث هذا الامر على انواعٍ مختلفة *

ولكي تفهم جيدًا هذا التعليم. فاعلم أن
الجهل نوعان * احدهما معذور. والاخر
غير معذور * فذاك الذي يبذل جهده
في ان يعرف حال ضميره وما يلتزم به.
فلا شك في انه يفتكر في هذا الامر
ويسال عنه مستشيرًا * الّا انه لعدم
وجود من يعلمه او لاجل غلظ عقله
استمر في حال جهله * وذلك كمثل
الرسول في حين ابتدا توبته. فانه كان
يفرغ كل جهده لكي يميز ما حوله. ولم يكن
يرى شيًا (ابركسيس ٩) * فمثل هذا
الجهل الذي ليس هو اختياريًا في
مصدره. ليس هو باختياري ايضًا في
مفعوله * بل هو جهل معذور. واهل
لان يرثى له كما يرثى للرجل المسكين

ليفحص عنا * وهذا هو الذى يحثنا عليهِ
الرسول قايلاً لوكنا ندين نفوسنا لما كنا
ندان (قرنثيه اولى ١١) *

* الفصل الثالث *

في ذكر بعض خطايا عموميّة
تختفى غالباً في وقت فحص الضمير

انه حسناً كان يفعل النبى والملك داود
اذكان يطلب من الله سبحانه ان يطهره
من خطاياه الخفيّة بقولهِ. ومن خفياتى
طهرني (مزمور ١٨) * لانه قد يتفق مرات
كثيرة ان العدل الالهى يسمح قصاصاً
عن الخطايا التي نرتكبها باختيارنا ان
نتساقط في خطايا اخر. التي من جرى
توانينا لاندرى بسقوطنا فيها *

عليهِ ضميرك مما تكون اسات بهِ الى الله عز وجل والي ذاتك والي القريب بالفكر والقول والفعل *

ولعمري انه لو يكون الاطلاع على كل الخطايا سهلاً كما يتوهم الاكثرون. لما كان الله سبحانه توعدنا على لسان صوفونيا النبي بانه سيقد مصابيح في اليوم الاخير لكي يفحص عنها (اصحاح ١) * فدعني اذاً ايها الاخ المومن ان اخاطبك عن هذا الفحص فاريك تلك الخطايا التي تختفي عنا احياناً كثيرة في حين فحص الضمير * فاقول حقاً انه لا فضل لنا ان نتخذ بايدينا تلك المصابيح التي اشار اليها النبي * وذلك حينما نفحص ضميرنا * من ان نتاخر الي ان يتخذها الله تعالى بيده

يغفر لك * مع انه سبحانه لم يصنع هكذا
با ناسٍ لا يحصى عددهم * اوليك الذين
من جرى خطايا اقل جرماً من اثامك
يحترقون الان وسيحترقون على الدوام
في دركات الجحيم * ولو يمكنهم ان يجثوا
الان عند رجلي كاهنٍ ما ليندموا بين
يديه علي ذنوبهم . لكانوا احتسبوا حظهم
سعيداً جداً * وفي اثنا ذلك ابتهل بنشاط
وحرارة الي رحمة الله . واطلب منه تعالي
ان يبدد الظلمات المحدقة بك وان يريك
كثرة اثامك وعظمتها * ثم ردد في
عقلك الاماكن التي ترددت فيها *
والناس الذين تخاطبت معهم * والامور
التي باشرتها منذ اعترافك الاخير الي تلك
الساعة * وعيّن في هذه كلها ما يبكتك

عليه

الترتيب والنظام في ممارسة هذا الفحص *
وذلك لكي يستريح عقلك وتتحقق انك
مارست الفحص بالاجتهاد الواجب *
فاقول انه ينبغي لك ان تبتدى الفحص
المذكور هكذا * وهو ان تسجد اولاً
للعزة الالهية بتهيب ووقار بليغ * معترفاً
انك رجل اثيم ممتثل امام ديانه العظيم
العتيد ان يحكم عليه بالخلود امّا في السّما
وامّا في جهنم * ثم اشكره بكل ما يمكنك
من عواطف معرفة الجميل علي كثرة
حسناته اليك * لاسيما لانه خلقك وصان
حياتك . وكابد لاجلك اوجاع الموت
موت الصليب . ودعاك الي معرفة
الايمان الحقيقي . وغفرلك خطاياك مرات
عديدة . ودعاك في هذا اليوم ايضاً لكي

ان يكون معلم اعترافهم قد منح موهبة النبوة فيخبرهم بخطاياهم * ولعمري ان مثل هولاء يشبهون بختنصر الملك الذى خاطب علما بابل هكذا * انني رايت روءيا في الحلم وتحيرت في عقلي ولا اعلم ما رايت فاخبروني به (دانيال ٢) * امّا العلما فحسنًا اجابوه قايلين * اخبرنا انت بما جرى لك وعلينا ان نفسر لك كل شي * فعلى هذا المنوال كان يجب علينا ان نجيب اوليك قايلين لهم * اذهبوا و افعلوا قبلاً ما انتم ملتزمون به. اى افحصوا ضمايركم ثم اخبرونا بها مفصلاً ليمكننا ان نعاملكم بما نحن ملتزمون به *

فمن بعد هذا الذى تقدم ايراده لم يبقَ شي اريد ان اخاطبك عنه سوى ما يخص

يغني هو بسهولةٍ عمّا ينقصهم من الفحص * واما هم فيكفيهم ان يفحصوا ضمايرهم علي مقدار استطاعتهم * وبعد ذلك فليتقدموا بطمانينةٍ الي الكاهن قاصدين ان يجيبوه بامانةٍ وسذاجةٍ عن كل ما يسالهم عنه * وبهذه النية يحصلون علي استعدادٍ كافٍ لنيل الحل السري * وقولي هذا انما يخص ذوي الغشم والكثيفي الفهم * لان الذين لهم ولو قليل من العقل والمعرفة . فقد يجب عليهم ان يوردوا خطاياهم في الاعتراف من تلقا ذواتهم * غير منتظرين ان يسالهم الكاهن عنها *

وقد يوجد اناس ذوي طبع كثيف وعقل غليظ بهذا المقدار . حتي كانهم يريدون

الّا ان هذا الاجتهاد مع الاحتراس البليغ في فحص الضمير ليس هو بضروري لكل واحدٍ من الانام على حدٍ سوى * لان الذى يعترف اوقاتاً كثيرة لايلتزم بفحصٍ جهيد كما يلتزم بذلك من يعترف نادرًا * وكذلك من تكون زلاته طفيفة خفيفة لايحتاج الي الاجتهاد الذى يلتزم بهِ من يتورط في خطايا عظيمة * والذى ليس هو مشتبكاً باموره وهموم كثيرة لايلتزم بالفحص البليغ كمثل ما يلتزم بهِ الرجل المنهمك المستغرق في الامور العالمية * واقول اخيرًا ان الانسان الغشيم الكثيف العقل لايلتزم بفحصٍ مستطيل جهيد كما يلتزم بهِ الانسان العالم الفطن * ونظرًا الي هولاء فقد يقدر الكاهن ان

قد اخفى هذه الخطايا متعمداً * وذلك من
حيث ان تناسيهم هذا هو غير معذور.
وصادر لا من نفس الطبيعة بل من
الارادة * ورايي هذا هو راى المجمع
التريدنتيني المقدس الذى يقضى بان
يصير الفحص باجتهاد * وهذا الاجتهاد كما
قال جمهور المعلمين يتوقف علي هذا الامر
اى علي ان يمارس هذا الفحص بالاحتراس
والاجتهاد اللذين بهما يفحص انسان فطن
حريص عن اموره الباهظة وتجارته المعتبرة
علي ان الصواب يقتضى ان يكون
الاحتراس ملايماً وموافقاً للعمل المقصود
ومن ثم اذا ما كان الامر معتبراً باهظاً.
فيجب ان يكون الاهتمام فيه معتبراً عظيماً
ايضاً *

المذكورة منك في الاعتراف علي حدٍ سوى * غيرانك تلتزم بان تعترف بها حالما تستفيق عليها *
الآن عدد هولاء الانام الموسوسين قليل جدًا بالنسبة الي كمية اوليك الذين يتهاونون في فحص ضميرهم. ويتقدمون بسرعة وتلهوج الي سر الاعتراف. غير ملتفتين الي الاستعداد الواجب له * فهولاء ينبغي لهم ان يعلموا ان الاعترافات التي لم يفحصوا فيها فحصًا واجبًا عمّا فرط منهم من الذنوب . او انهم مارسوها بتوانٍ اختياري. هي اعترافات باطلة لا نفع فيها البتة * وانه اذا ما فاتهم بطريق النسيان الاعتراف عن بعض خطايا صدرت منهم. فيكون حالهم كحال انسان

ابدًا * ولهذا تراهم يصرفون ايام
حياتهم كلها في سجسٍ واضطرابٍ
متصل * حتي ان هذا السرّ المعزى يعود
لديهم اخيرًا مستصعبًا مرًّا * بل ان
الناموس الالهي المسمى من السيد المسيح
نيرًا خفيفًا طيبًا. يضحي لديهم نيرًا ثقيلًا
غير محتمل *
ولكن فليعلم مثل هولاء. ان الله تعالي
الذى يامرنا بان نعترف بجميع خطايانا *
انما يريد منا ان نعترف بكل ما يخطر منها
في فكرنا بعد ان نفحص عنها فحصًا
واجبًا * واذا ما اتفق بعد هذا الفحص
ان فاتك خطيةٌ واحدةٌ لم تذكرها في
الاعتراف علي سبيل النسيان المحض *
فلا جرم في انها تغفر مع بقية الخطايا

والشاهد علي نفسهِ *
فهذا الفحص اذًا ليس هو شيًا اخر الّا
بحثًا خاصًا عن كل افكارنا واقوالنا
وافعالنا * بحثًا مرسومًا لبلوغ معرفة
خطايانا وتمييزها رغبةً في ان نندم عليها
ونمحوها بواسطة الاعتراف السري * الّا
انه قد يعتريه النقص بحسب نوعين *
لانه اولًا ومن احدى الجهات نرى الاتام
الموسوسين يمارسون هذا الفحص باهتمام
وعناء متجاوزي الحد * ثانيًا ومن الجهة
الاخرى نعاين الاشرار يمارسونه بغير
اجتهادٍ واهتمامٍ واجبٍ * فاوليك اعني
الموسوسين المستولي عليهم الخوف المفرط يظنون
بانفسهم انهم لا يحسنون هذا الفحص كما
يلزمهم * ومن ثم لا يرتضون باعترافاتهم

استفهامها فنوضح كلاً منها علي حدته *
فاولاً نوضح ماينبغي فعله قبل الاعتراف *
ثانياً نشرح مايجب عمله في حين
الاعتراف * ثالثاً واخيراً نورد ماتلتزم به
بعد الاعتراف *

قلنا خذنّ اولاً في ايضاح مايجب ان
يتقدم سر الاعتراف فنقول * انه قبل
كل شي يلزمك ايها الاخ الحبيب ان
تعتني في فحص ضميرك اعتناءً جيداً *
لانه هو جزيل الضرورة جداً * ويفتقر
اليه المعترف كما يفتقر الي ذلك من يروم
ان يورد دعوةً باهظة في المحكمة * علي
ان الخاطي في محكمة سر التوبة لاينبغي له
ان يكون في مقام رجل مذنب فقط. بل
يلزمه ايضاً ان يباشر وظيفة المشتكي

الذين تقبل شهادتهم تدسجل في
الحكمة السّماوية. هذى هى الاشيا التي
يتحقق بها ان توبة الخاطى هى حقيقية
واهل للقبول * ولعمرى انه يجب ان
تكون هذه الثلثة الاشيا موجودة
معًا ومقترنة بعضها ببعض * على انه
لمن المحقق ان الندامة والاقرار بالخطايا
هما ضروريان في سر الاعتراف بضرورةٍ
جوهرية * واما الوفا فانه ضرورى
كالجزء المتمم السر حسبما يوضح ذلك علما
اللاهوت *

ومن حيث ان هذه الثلثة الواجبات
تحصك من جهة كونك خاطيًا * فها
هوذا نحن نوردها لك بكل ما يمكننا من
البيان والايضاح * ولكى يسهل عليك

استفهما

حتي ان اهل العالم لم يشعروا بمثلها في
مصرهم عند اكلهم الثوم
* والبصل *

* الفصل الثاني *

في وجوب فحص الضمير وكيف يجب
ان تكون ممارسته قبل التقدم
الي سر الاعتراف

انه كما ان الخاطي ياسي الي الله تعالي
بحسب ثلثة انواع . اعني بالفكر . والقول .
والفعل * هكذا يجب على المومن العايد
اليه عزّ وجل بالتوبة ان يفي للعدل
الالهي بحسب هذه الثلثة الانواع ايضاً *
اعني الندامة بقلبه . والاعتراف بفمه .
والوفا بعمله * هولاء هم الثلثة الشهود

اعني بها فحص الضمير. انسحاق القلب
وندامته. القصد الاكيد والوفا * ولا
تضطرب كما يضطرب الطفل عند
مشاهدته خيالاً ما * بل انعكف على
تلاوة هذا الكتاب * واتخذه كمصباح
يضي لك في ظلمة طريق هذه الحيوة *
فان اتبعت مرشدك هذا بامانةٍ . فلا
ريب في انك تختبر بالحس وتتحقق ان
ارض الميعاد هذه لاتبتلع سكانها * بل
بخلاف ذلك تمنحهم حيوة وقوة جديدة *
وتدرّ لمن يلجها عسلاً من الصخور *
اى ان الندامة التي ترشدك الى هذه
الارض السعيدة ولومها استبانت لك
من الخارج هايلة الّا انها تسدى نفسك
بهجةً وتعزية عذبة لاتقدر كيفيتها *

متناه * ولهذا قد حرضنا الروح القدس
على ان لانكتفي بالبر الذى نمتلكه. بل
لنجتهد في اكتساب اعظم منه *
فاذ قد تحقق هذا التعليم وتوضح جليًا *
فدعني اذًا ايها المومن ان ارشدك
الى هذا السر الجزيلة ضرورته والغزيرة
فايدته * ولا تتوهم انني بحثي اياك على
التقدم اليه اروم ان اقودك الى مكان
العذاب كالمسلخ والمشقة * اى الى ما
يوعب القلب فزعًا ورعبةً حاشا وكلا *
بل انني بارشادى اياك الى هذا المنبر
السرى ارغب ان اشركك في اغزر
كنوز مخازن السخا الالهى *
فلا تخف اذًا يا اخى حيث ليس خوف *
ولا تضطرب عند استماعك هذه الكلمات

وتفضله على الرقاد فوق الزهور *
وذلك بعد ان توعدهم الله تعالي
بالعذاب قايلاً على لسان صوفونيا نبيهِ
في الاصحاح ١ * انني سافتقد الناس
الغريقين المستمرين في عكرهم *
اعتبر الان انه وان شعر الانسان بندامةٍ
كاملةٍ قبل اقتبالهِ هذا السر * وتوجع
قلبه منسحقاً لاجل اسيئهِ الي الله تعالي
المحبوب فوق كل شي * فمع ذلك لايزال
ملتزماً بالاعتراف * من حيث اننا لاننال
التبرير الّا بقوة هذا السر الذى يمنحنا
النعمة الاولي * واحياناً كثيرة يضاعفها
فينا ايضاً * والحال ان هذا امر يجب
علينا ان نعتبره جداً * من حيث ان كل
درجةٍ من النعمة هي ذات ثمنٍ غير

اللفظة اعني بها الخطية * ولاحظ
مفهومها بكل ما يمكنك من التاني
والتدقيق * ثم قابلها مع هذه اللفظة
اعني بها النعمة * ولاحظ ايضًا مفهومها
جيدًا * ولعمرى ان لاحظت جيدًا هذين
الشيين المضاد بعضهما بعضًا على نوعٍ
غير مدرك * فترى وقتيذٍ جليًا عظم
جلال السعادة الواصلة الينا من قبل
سر الاعتراف الذى بهِ يتم فينا هذا الخير
الغير الموصوف . اعني بهِ خير تبرير
النفس * ثم انك بلا شك تتعجب ايضًا
منذ هلاً من كثرة الخطاة الّذين يتباطاون
في اقتبال هذا السر الخلاصى . بل يحبون
ان يستمروا في حال شقاهم نظير بعض
الحيوانات التي تحب التمرغ في الحماة *

والسما معًا * لكان يحسن ذلك لاجل ربح
مثل هذا الخير العظيم *
ولاريب في ان التبرير الذى بواسطته
تفاض النعمة في نفوسنا. يسمو ايضًا
سموًا لايحد على كل ما ابرزته يد الله
الضابطة الكل من اعمال الطبيعة * وانه
تعالي حينما يردّ انسانًا خاطيًا الي
التوبة. فانه سبحانه يصنع اعجوبة اعظم
جدًا جدًا من تلك التي بها منح الحركة
للكواكب. واوقف الشمس في مسيرها
وخلق العالم كله. بل انه لايوجد شي
يوازى اويماثل ثمنه ثمن نفس بارّة * فما
ظنك الان بحسن سعادة من ينتقل من
حال الشقا الاعظم الي هذه الحالة المجيدة
السعيدة * فنحن اذًا معي بتامل هذه

الشوين اصلاً *
ومن جهةٍ اخرى نقول ايضاً . من
يستطيع ان يفهم بالكفاية جلال عظمة
النعمة التي تصيرنا ابنا الله بالذخيرة *
فاعتبر اذاً واعتقد يقيناً . ان خير النعمة
لعظيم بهذا المقدار . حتي ان من يكتسب
ادنى درجةٍ منها . يكون قد اكتسب
ما يفوق فوقاً لايحد علي كل ما قد
امتلكته جميع الناس من العظمة والحكمة
والاقتدار والبها والغني وبقية الخيرات
الزمنيّة * بل انه يفوق ايضاً فوقاً
غير متناهٍ علي كل مناقب الطبيعة
المليكية ومزاياها * واقول ايضاً لو
تدعو الضرورة لاجل اكتساب ادنى
درجةٍ من النعمة ان تتلاشي الارض

حاصلة علي خطية مميتة * انه لو يكون
في اختيار الانسان ان يزج بنفسه في
جهنم من دون خطية ما * او ان يصعد
الي السماء وهو حاصل علي خطية مميتة
واحدة * لكان يجب عليه ان يختار الشي
الاول ويهتف مع القديس انسلموس
هكذا * خير لي جهنم مع البر من
ملكوت السما مع الاثم * وفحوى كلام هذا
القديس يطابق ما نطق به الحكيم ابن
سيراخ في الاصحاح ٢٨ عن الاثم قايلاً *
ان الجحيم خير منه * ولا ينبغي لنا ان
نستغرب هذا الكلام * لكون شر
العذاب يضاد ارادة الخليقة فقط * واما
شر الخطية فانه يقاوم ارادة الخالق *
والحال انه لا مناسبة ما بين هذين

حقًا انه لامر يدهش العقول ما يخبرنا به
الكتاب المقدس عن بختنصر الملك ۰
وهو انه استحال الي هيئة بقر وحشي *
وانه لامر اخر يرهب القلوب ما ذكر
عن تريداطس ملك الارمن . وهو انه
تحول الي خنزير * الآن مثل هذه
الاستحالات كلها فانها ليست هي بشيٍّ
بالنسبة الي ما يحدث من التغيير الحقيقي
في نفس الانسان الخاطي الذي يصير
كشبه شيطان * ولهذا قال السيد
المسيح بفمهِ العزيز عن واحد من رسلهِ
كان حاصلاً علي حال الخطية المميتة انه
هو شيطان (يوحنا ٦) * لانه كما قال
القديس توما اللاهوتي يفهم بلفظة
شيطان هذا المعني * اي خليقة ناطقة

على حسن سعادة حال يوسف الذى
اخرج من السجن وجلس على سدة مملكة
مصر * وقد يسوغ لنا ان نقول عن ذاك
الخاطى التايب ماقاله المرتل عن هذا اعني
به يوسف * ارسل الملك فاطلقه واقامه
سيدًا على بيته واركونًا على كل ما
يقتنيه *

ولربما انك لم تتامل حتي الان عظم شقا
النفس الحاصلة على خطية مميتة * فمن
ثم اخاطبك قايلًا * اعلم ان الخطية المميتة
هي اعظم الشرور والبلايا التي يمكن
ان تلم بنفسك * وان من يربي في قلبه
خطية واحدة مميتة. فشقا حاله هو اعظم
جدًا من شقاء حال من قد دخلت كل
الشياطين جسده لكي يعذبوه *

يكون ابنه بالدخيرة * فكيف تراه كان
يتحير منذ هلا من هذا الخبر * لعمري انه
كان يعسر عليه تصديقه جدًا * الآانه
اذا ماتحققه يخشي عليه لامحالة من ان
يموت من افراط فرحه * فان جازلنا ان
نماثل الاشيا الحقيرة مع اعظم الامور *
والاشيا الزمنية مع الابدية * فنرى في
التشبيه المقدم ايراده شيًا يسيرًا من
التغيير العجيب الذي يتم في الخاطي الشقي
بواسطة سر الاعتراف المقدس * وكيف لا
والحال انه ينتقل بغتة من حال انسان
اثيم اسير محكوم عليه لان يسلم للشياطين
لكي يهزاوا به ويعذبوه الى الابد . الي
حال السعادة العظمى حال البنوة الالهية *
فهذه السعادة حقًا انها تسمو بلاقياس

الفصل الاول

فيما من شانه ان يحث الخاطى * على سر الاعتراف *

تصور ايها الاخ العزيز المومن بسيدنا يسوع المسيح * انسانًا مسجونًا قد تسجل عليه الحكم بان يموت مشنوقًا . وقد القى في عنقه الحبل وينتظر في كل دقيقة الجلاد العتيد ان يمضى به الي المشنقة * فمثل هذا اذا امكنه ان ينجو من الموت . اما كان بلاشك ولاريب يحتسب ذلك سعادة عظمى * واذا ما اتاه احد من قبل الملك واخبره بان الملك قد عفا عنه وغفر له اثمه . ثم زاد على ذلك بان قال له ان الملك قد اختاره لكى

يكون

الحقيقة علي الدوام * وهي ان الاعتراف الجيد ليس هو باقل ضرورة للانسان من الخلاص عينه * وانني اضرع الي الجود الالهي ان يهبك نعمة لكى تجتني من هذه النصايح اثمار الخلاص الابدى

امين

*

للاعتراف الجيد *
ولا جرم في ان من يعتمد على مثل هذه الاعترافات فانه يسقط سقطة مهلكة *
ولكن وا اسفاه ما اكثر الذين هذه الحال حالهم * غير اننا لكي ننبه المومنين على مثل هذه الورطات المريعة * فقد جمعنا في هذا الكتاب بعضاً من النصايح الاكثر ضرورة التي تساعدهم جدًا في سر الاعتراف * ومن يتلوها متانيًا ويحسن تاملها معتبرًا. يعلم جليًا ذاك المسند الذي يعتمد عليه في حال اعترافه هل هو وطيد امين ام غير امين *
فاقبل اذًا مشورتي يا ايها الاخ المومن *
واتل برغبة ونشاط هذه النصايح المولفة لاجل مجرد مجد الله تعالى * وتذكر هذه

الحقيقة

الصيادون *
فعلى هذا المنوال يحتال ابليس اللعين علي المسيحيين * وذلك بقطع المسند الذى عليه يعتمد الاعتراف الجيد * الآن المثلث الخباثة والمكر لايقطعه بالكلية * بل انما يقطع منه مايراه كافيا لان لايكون مسندًا متينًا يستطيع المومن ان يعتمد عليهِ * اى انه لايمنع الخاطى بالكلية عن التقدم الي منبر الاعتراف * بل انما يغويهِ في ان يعترف اعترافًا ناقصًا غير كافٍ * وذلك امّا بصدّه اياه عن التعمق في الفحص عن شرور قلبهِ * او بمنعهِ اياه عن الندامة الحقيقية على خطاياه * او عن القصد الثابت في اصلاح سيرتهِ * او عن اهمال شيءٍ اخر من الاستعداد الضرورى

لاننا نرى كثيرين من الخطاة يطمانون من اجل انهم اعترفوا مرات كثيرة * ولا يدرون انهم ربما لم يعترفوا قط اعترافاً واجباً * ومن ثم يهلكون من قبل توهمهم المضل *

وقد يتم بمثل هولاء ما يتم بالفيل . لانه من شان هذا الحيوان اذا اراد ان يستريح وينام فيستند على اية شجرة كانت من غير ان يختبر هل هي ثابتة راهنة ام لا * ولهذا قد اعتاد الصيادون العارفون شايبة هذا الحيوان ان ينشروا جزءا معتبراً من اصل الشجرة التي يظنون بانه عتيد ان يستند عليها * فاذا ما اتى الي تلك الشجرة ليتخذ راحة فيجد هناك موتاً * لانه يسقط مع الشجرة فيقتنصه

الصيادون

الجليلي القدر قايلةً له هكذا . ناشدتك
الله ايها الاب المحترم ان تنذر كثيرًا ضد
الاعترافات الفاسدة * لان هذا الشرك
هو اخطر الاشراك التي بها يعرقل ابليس
اكثر الناس و يقتنصهم (انتهى) فهذا
الكلام و ان كانت قد نطقت به قديسة
جزيلة الفطنة و الحكمة * الّا اني اقرّ
معترفًا انني لمّا شرعت اتاملهُ استحوذ عليّ
الاندهاش و التحير و ابتدا عقلي يستغربه *
غير انني بعد مباشرتي الوظيفة الرسولية
مدة سنين عديدة . والترامي من قبل هذه
الوظيفة بالتردد مع اناس كثيرين من كل
دعوةٍ و رتبة * قد تحقق عندي كلام هذه
القديسة . وتيقنت ما اختبرته ان الذي
نطقت بهِ لم يكن منها مبالغةً *

المعمودية * بمقدار ذلك يفتقر من قد
سقط في الخطية بعد المعمودية الى سر
التوبة علي حدٍ سوى *
فليس اذاً بامرٍ عجيبٍ ما نراه يتم يوماً
فيوماً * وهو ان الشيطان لايزال
يحارب هذا السر المقدس و ذلك علي
نوعين * لانه خزاه الله يبذل كل جهد
وجد في امتلاك احد هذين الامرين *
اى في انه اما ان يصد المومنين عن
ممارسة هذا السر. اما ان يجعلهم ان
يمارسوه ممارسةً رديةً * ولهذا السبب
قالت القديسة ترازيا ان جهنم لاتزال
تمتلي كل يومٍ و في كل دقيقةٍ من اناسٍ
يهلكون من اجل اعترافاتهم النفاقيه *
وقد كتبت يوماً ما لاحد الواعظين

باحتراس واجب *
فعلى هذا الاسلوب يجرى الامر فيما يخص
النعمة * لاننا ننالها جميعنا من دون كل
تعب وعناءٍ في المعمودية المقدسة الاولي *
الّا انه اذا ما اتفق لسوحظنا ان عدمناها
بالخطيّة * فلمن المستحيل لدينا حينئذٍ
ان نكتسبها ثانيةً الّا بدموع غزيرة وتالم
جسيم في المعمودية الثانية * وذلك لكى
نحسن الحذر من شر الخطية علي الدوام *
ارايت حسن المناسبة الموجودة ما بين
سر التوبة وسر المعمودية المقدسة نظراً
الي القوة والفاعلية * فلاحظ ايضاً الان
مناسبة ذاك السر مع هذا نظراً الي
ضرورته * اى انظر كيف انه بمقدار ما
يحتاج الانسان الغير المعمّد الي سر

المعمودية

وهذا الحميم السري المرسوم من السيد
المسيح الذي به يحل الكاهن الانسان
التايب من كل الخطايا التي ارتكبها بعد
المعمودية * قد دعته ايضاً الآبا القديسون
معمودية متعبة مولمة * ولكي تفهم سبب
هذه التسمية اعتبر هذا الامر. وهو ان
الطبيعة منحتنا العافية الاولي من غير ان
نتعب في ذلك * الّا اننا اذا ما تصرفنا
بهذه العافية تصرفاً يضاد الصواب.
وفقدناها بذنبنا * فلا يمكننا حينيذٍ ان
نحظى بها الّا بتعبٍ وعناءٍ جزيل * وقد
يتفق احياناً انه لكي ينال العليل الشفا
يفتقر الي مكابدة تبضيع الحديد. وحريق
النار. وما يماثل ذلك * وانما رتبت الطبيعة
هكذا * لكي يتحفظ الانسان من الامراض

بعد ان وهبت الانسان حيوة جديدة
بايلاد روحي جديد في سر المعمودية *
وعاينت كثرة العلل والامراض الروحية
العتيقة ان تلم بنفسه من قبل الخطية *
اخترعت دواءً جزيل الفاعلية لشفاء هذه
الامراض وهو سر التوبة * دواءً يتخذ
قوته من دم سيدنا يسوع المسيح. وقدمته
له كحكيم شاف لكل جراحاته الروحية
المسببة من الخطية * ولعمري ان هذه
هي العين المفتوحة من الله لبيت داود
لاغتسال الخاطي كما قال زخريا النبي في
الاصحاح ١٣ من سفر نبوته * هذه هي
العين الشافية المقدمة من الله لجميع
المومنين لاجل تطهير نفوسهم من ادناس
الخطية *

* المقدمة للمولف *

ان الله جلت مكارم عنايته لم يكتف في انه منح الانسان الوجود والحيوة * بل انه تعالى لما راى بسابق علمه كثرة مخاطر الامراض المحدقة بحياته. وانه لامر عسر جدًا ان يستقيم في العالم علي حال الصحة مدة مستطيلة من الزمن * قدم له ادوية مفيدة بواسطة النباتات والمعادن التي صيرها ذات خواص شافية *

فالذي صنعته يد العناية الالهية فيما يخص الطبيعة والجسد. قد فعلته ايضًا فيما يلايم النعمة والنفس * وذلك على نوعٍ اظهرت به افراط محبته تعالي لنا * لكونها



الفصل

القانونيين الباسيليين * في دير القديس
يوحنا الصايغ الملقب بالشوير في جبل
كسروان * سنة الف وسبعماية
واربعة وتسعين مسيحية * فلا تنسونا
من طلب الرحمة والغفران * والحمد
لله وحده *

* فهرس *

* ماتضمنه هذا الكتاب من الفصول *

الفصل

بما انه كمهماز لمن هو متغافل عن مباشرة
هذا السر او متباطي * فعليك اذا
بمطالعته يا صاح * والادمان علي تلاوته
بعقلٍ صاحٍ * لعلك ترتشد بمسلسل
انواره * وتنجو من ظلام الجهل المتجلبب
مشعاره * وقد كان تمام هذا العمل
في مدينة حلب المحمية * سنة الف
وسبعماية وتسع وثلاثين مسيحية *
نسالهُ تعالي ان ينير بنعمته عقل
مطالعيهِ * ويحرّض علي التمسك بطريق
التوبة قلب المتامل فيه * انه علي كل
شيءٍ قدير وبالاجابة جدير *
وقد تم طبع هذا الكتاب طبعاً ثانياً باذن
الروسا لبلوغ الغاية المذكورة * وحصول
الافادة العامة الماثورة * بعمل الرهبان

القانو

احيانا قليلة * ومع ذلك لا يتممون
شروطه الجوهرية الجليلة * مع انه
هو الصبغة الثانية بعد المعمودية *
التي بها نستحم لننجو من اثامنا الفعلية *
وذلك من استحقاقات ذلك الدم الالهي
المهراق عن كل البرية * التي سبق
وجودها ولم تزل تتسلسل الي منتهى
الاجيال الزمنية * فعند ذلك حركتني
يد الغيرة الالهية والمحبة الاخوية * الي
ان استخرج من اللغة الايطاليانية الي
اللغة العربية * كتابا جليلا قد الفه
الانبا بولس سينيرى اليسوعي في ايضاح
هذه الطريقة * رغبة في ان تقتدى
بتعليمه الانام الجاهلون هذه الحقيقة *
وهو الكتاب المدعو مرشد الخاطى *

بما

شفاعتها في كل كارثةٍ وبليّة * اعني
بها معدن الاحسان مريم البتول المبراة
من كل وصمة اصليّة وفرعيّة *
وبعد فيقول الاب المكرم ورسول
بيعة الله المحترم * اعني به البادري
بطرس فرماج سليل الرهبنة اليسوعية
المتلالية بسنا مناقبها في سما بيعة الله
الكاثوليكيّة * انني لما رايت سر التوبة
الذى هو احد الاسرار البيعيّة *
المتاسسة عليه حيوة النفس الروحية *
قد حصل عند الكثيرين في حيز
النسيان * ولدى غيرهم عديم الاساس
والاركان * حيث اننا نرى البعض
لا يعتبرون شانه * ولا يحلون محله
وسلطانه * ونشاهد غيرهم يمارسونه

احيانًا

بسم الاب والابن والروح القدس
* الاله الواحد *

فاتحة الكتاب

الحمد لله الذى ارشدنا الى منهج التوبة
المرضيّة * ومهد لنا سبلها بغزارة
رحمته العلية * ووعد المعترفين باثامهم
بالصفح والعود الى وراثته الابوية *
وتوعد الاثمة المصرين على ذنوبهم
بالخلود فى النيران الجهنمية * حمدًا
يكتسب لنا درر الغفران من بحر
مراحمه الوفيّة * ويجتذى لنا سبايك
خلاص الخلاص من كنز استحقاقات ابنه
فادى البرية * بشفاعة من لا مزيد على

شفا



كتاب
مرشد الخاطي
في سر التوبة
والاعتراف

خاصة كاتبه ابراهيم سلامه يالامبو سنة ١٨١٥

